بسم الله الرحمن الرحيم

تم تحميل هذه المادة من:

مكتبة المهتدين الاسلامية لمقارنة الاديان

http://kotob.has.it

http://www.al-maktabeh.com



العلاقة بين نصارى العرب وحركة الفتح الإسلامي في الجزيرة العربية والشام والعراق

إعداد
د. / محمد ضيف الله البطاينه
جامعة اليرموك، دائرة العلوم الإنسانية
الأردن ـ إربد

[ساهمت جامعة اليرموك في دعم البحث]

التدين ظاهرة بين الناس يشتركون في وجودها، ويختلفون في وجهها بينهم، وقد عرف العرب مثل غيرهم من ذلك وجوهاً كانت النصرانية واحداً منها، ثم ظهر الإسلام بعدها مما أدى إلى بعث تفاعل فكري عند الناس تجاذبه المد والجزر، ومع أن قابلية التحوّل والتغيرّ في حياة الناس الفكرية قائمة، إلاَّ أن التحول لا يجري بسهولة ويخضع لاعتبارات عديدة لا تنفي وجود المعارضة أول الأمر على الأقل إن لم تمتد فترة أطول.

ويعدّ هذا البحث محاولة لمعرفة العلاقة بين نصارى العرب وحركة الإسلام انحصرت في تتبع موقفهم من حركة الفتح الإسلامي وانتشاره في الجزيرة العربية والشام والعراق، مع بيان الإعتبارات التي ساهمت في موقفهم ودور الفعالية الإسلامية في هذه الاعتبارات. وقد اقتضت الضرورة أن يتناول البحث أول الأمر انتشار النصرانية بين العرب في الفترة السابقة على ظهور الإسلام في البلاد الآنفة الذكر.

لم يلبث عيسى عليه السلام في الدعوة إلى الله إلاَّ قليلاً(١)، خلفه أتباعه

(١) أنظر ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٦٦ ـ ٧٠.

من بعده يواصلون الدعوة من أرض فلسطين في ظروف قاسية اجتمعت فيها ضدهم عداوة اليهود [1] واضطهاد أباطرة بيزنطة [2] مما جعل استجابة الناس ضعيفة وأحيطت حالات الإيمان الفردية بالسرية والكتمان الشديدين [3] وهاجر بعض الأتباع [4] من جراء العنت الذي كانوا يلاقونه إلى بقاع أقل خطراً فكانوا كما يبدو سبب النصرانية في هذه البقاع في هذه المرحلة من تاريخ انتشار النصرانية.

لم يكن اضطهاد الأباطرة البيزنطيين للنصارى واحداً ودائماً فقد أبدى بعضهم عطفاً على النصارى [5] إلى أن تم اعتناق قسطنطين عام ٣١٤ ميلادية لهذا الدين [6] فدخلت النصرانية في مرحلة جديدة، ويمكن تقدير المدة التي انقضت بين ظهور رسالة عيسى عليه السلام وبين اعتناق قسطنطين للنصرانية بثلاثة قرون تقريباً [7]. ولا ريب أن الظروف التي واجهتها النصرانية في هذه الفترة قد تركت آثاراً بينة فيها فلما أراد قسطنطين أن يستقي علم النصرانية قيل

---

(١) أنظر سعيد بن بطريق: كتاب التاريخ المجموع، ص ٦ وما بعدها.

(٢) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٦٦ ــ ٧٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٣٠؛ حمزة الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ص ٦٥ ــ ٦٦.

— Trimingham: Christianity Among the Arabs. p.60.

(٣) اليعوقي: تاريخ اليعوقبي، ج ١، ص ٧٤ وما بعدها؛ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦، ص ٦٢٤.

(٤) ابن قتيبة: المعارف، ص ٢٥، ٢٧٧؛ اليعوقبي: تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ١٩٩؛ المسعودي: المروج، ج ١، ص ٤٧ ــ ٤٨، النويري: نهاية الأرب، ج ٤، ص ٢٥٩.

— Trimingham: Christianity among the Arabs. p.63.

(٥) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٧٦ ــ ٧٩، ومواضع أخرى متفرقة.

(٦) اليعوقبي: تاريخ اليعوقبي، ج ١، ص ١٥٣؛ ابن العبري: تاريخ الدول، ص ٧٩؛ نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٨ ــ ٩.

(٧) حمزة الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ص ٦٠ ــ ٦١؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٦٥ ــ ٨٩.

أنه وجد ثلاث عشرة مقالة فيها عند أهلها[1].

ساندت بيزنطة النصرانية منذ تنصر قسطنطين حتى غدت النصرانية في الغالب معلمًا من معالم النفوذ البيزنطي وبالرغم من هذه المساندة التي أدت إلى زيادة انتشار النصرانية فإن الإمبراطورية ظلت عاجزة عن توحيد الفكر النصراني بالرغم من المحاولات العديدة التي قامت الإمبراطورية بها. إلاَّ أن ذلك لا يقلل قيمة التحالف بين الجانبين وثماره لكليهما ولا يقلل منه ما قيل من أن تنصر قسطنطين كان للرؤيا التي رآها[2].

ففيما يتعلق بالإمبراطورية فقد يكون تبني النصرانية ديناً، عزز موقف الإمبراطورية إزاء شعوبها وإزاء المد الثقافي الفارسي[3] وصار في وسع بيزنطة أن تستغل النصرانية في ميدان العلاقات الخارجية لتقريب الشعوب إليها وتوسيع نفوذها السياسي وتقوية معسكرها لمناهضة أعدائها وتحسين اقتصادها[4].

وغدت الامبراطورية سنداً للنصرانية وحامياً لها، وصار الاهتمام بشؤون النصارى من رعايا الدول الأجنبية عنصراً في السياسة الخارجية لبيزنطة، ولا يمنع ذلك من استغلال بيزنطة للنصرانية في التدخل بالشؤون الداخلية للدول الأجنبية، ففي العلاقات الفارسية البيزنطية في عهد كسرى أبرويز مثلاً حدث أن استنجد هذا بموريقي ملك بيزنطة لاستعادة عرشه، فلما تم له ذلك، كتب

---

(١) اليعوقبي: تاريخ اليعوقبي، ج ١، ص ١٥٣، وانظر الشيخ محمد أبوزهرة: محاضرات في النصرانية، ص ٣٥ ــ ٤١؛ وانظر ماري بن سليمان: أخبار بطاركة كرسي المشرق، ص ١٤.

(٢) أنظر ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٧٩؛ النويري: نهاية الأرب، ج ١٥، ص ٢٧٣؛ ماري بن سليمان: أخبار بطاركة كرسي المشرق، ص ١٣.

(٣) أنظر نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٩.

(٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٥٩٤ ــ ٥٩٦؛ وانظر أحمد ابراهيم الشريف: مقالة «قريش قبيلة العرب قبل الإسلام»، مجلة كلية الآداب والتربية، الكويت العدد الأول حزيران ١٩٧٢ م، جمادي الأخرى ١٣٩٢ هـ.

في النصارى أن يكرموا ويقدموا [1] وسمح ببناء هيكلين لهم في مملكته [2] وقيل أن موريقي أهداه ثوبين فيهما الصلب فلبسهما فقال الفرس عنه أنه تنصر [3] .

اتخذت بيزنطة النصرانية في جملة الوسائل التي اتخذتها للتأثير على شعوبها وشعوب المناطق المجاورة لها، وكان العرب في جملة هذه الشعوب التي خضع بعضها لبيزنطة وكان البعض الآخر إما خاضعاً لحكومة فارس أو خارجاً عن نفوذ الدولتين.

كان العرب قد انتشروا خارج شبه الجزيرة قبل الميلاد في حالات ترجع إلى ضيق العيش والأحداث التي كانوا يحدثونها في قومهم [4] وقد جرى في كتب التاريخ والبلدان ذكر معظم هذه القبائل ومواطنها ولا سيما في الفترة التي تعود إلى قبل ظهور الإسلام بقليل، فكان في الشام قبائل من قضاعة منها تنوخ [5] التي كانت تنزل في حاضر قنسرين وفي حاضر حلب وكانت تنزل معها سليح حتى أيام الفتح الإسلامي [6] ، ومنها جهينة ومنازلها بناحية حقل بجوار بلي وجذام

---

(١) اليعوقبي: تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ١٦٩؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ١٧٥ ــ ١٨٢؛ المسعودي: المروج، ج ١، ص ٢٠٦ ــ ٢٠٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ص ١٩١ ــ ١٩٢؛ النويري: نهاية الارب، ج ١٥، ص ٢١٧ ــ ٢١٩؛ ماري بن سليمان: أخبار بطاركة كرسي المشرق، ص ٥٦.

— Butler, The Arab Conquest of Egypt Sec. ed. pp.55.

(٢) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٩١: ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٢٢٠.

(٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٤٣.

(٤) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٤٣؛ حمزة الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ص ٨٦.

(٥) ابن قتيبة: المعارف، ص ٢٧٨ ــ ٢٧٩؛ المسعودي: المروج، ج ١، ص ٣٦٥ ــ ٣٦٦؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ص ٣٧١ ــ ٣٧٤.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥٠ ــ ١٥١؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٣١٨.

حتى كان قيام الإسلام وهجرة النبي إلى المدينة [1] ، وكانت منازل بهراء شمال منازل بلي من الينبع إلى عقبة ايله [2] ، أما منازل كلب، فكانت في الجاهلية في دومة الجندل وتبوك وأطراف الشام إلى ناحية طيء [3] ، ثم وردت بعد تنوخ وسليح إلى الشام، غسان وذكرت منازلهم في اليرموك والجولان وغوطة دمشق والبلقاء والأردن [4] ، أما جذام فكانت تنزل في حسمي في القسم الجنوبي من بلاد الشام حوالي ايله بين مدين إلى تبوك إلى أذرح [5] ، ونزلت طيء قرب بني أسد وغلبت على جبلي أجا وسلمى وظلت في منازلها هذه حتى افترقت زمن الفتوحات الإسلامية [6] ، ونزل بعض العرب في حاضر الرقة [7] .

وانتشر العرب في العراق فنزلت أياد في سواد العراق بين أرض الجزيرة وأرض البصرة [8] ، ثم رحل بعضهم فنزل الجزيرة الفراتية ومنهم من نزل الشام [9] ، وانتشرت بكر وعنزه وضبيعة من قبائل ربيعة بعد تغلبها على تغلب في أرض اليمامة إلى أطراف سواد العراق وناحية الأيلة إلى هيت [10] ،وضمت الحيرة اخلاطاً من افناء العرب من تميم وطيء وغسان والعباد [11] وغير

---

(١) البكري: معجم ما استعجم، ج ١، ص ٥٠.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٣١٧.

(٣) البكري: معجم ما استعجم، ج ١، ص ٥٠، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٣١٦.

(٤) المسعودي: المروج، ج ١، ص ٣٦٧؛ اليعوقبي: تاريخ اليعوقبي، ج ١، ص ٢٠٥ ــ ٢٠٧.

(٥) الهمذاني: صفة جزيرةالعرب، ص ١٢٩.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٣٢٠.

(٧) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٣٧.

(٨) اليعوقبي: تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٠٨.

(٩) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص ١٩٩ ــ ٢٠٠؛ حمزة الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ص ٨٥ ــ ٨٦.

(١٠) البكري: معجم ما استعجم، ص ٨٥ ــ ٨٦.

(١١) أبو عبيد: الأموال، ص ٣٩.

ذلك، ونزلت تنوخ من الأنبار إلى الحيرة، وكان بينهم وبين اللخميين والفرس حروب ففصل جماعة منهم نزلوا الشام(١) ، وسكنت طوائف من العرب من ربيعة ومضر الجزيرة الفراتية وصارت لهم دياراً ومراعي(٢) ، وانتشرت القبائل العربية من اليمن وربيعة ومضر في بادية الشام(٣) ، ولم يعد مكان بين العراق والشام واليمن إلاّ وهو في ديار طائفة من العرب ينتجعـونه في مـراعيهم ومياههم(٤) ، وكان من شأن انتشار العرب في هذه المناطق أن اليونان والرومان جعلوا أرض العرب تشمل جزيرة العرب وبادية الشام(٥) .

كان انتشار القبائل العربية في العراق والشام في منطقة تتوسط بيزنطة وفارس موضع اهتمام هاتين الدولتين لاتصال ذلك بمصالحهما وبالنزاع على النفوذ بينهما(٦) ، لذلك لجأت الدولتان إلى اصطناع بعض القبائل وفوضت إليها حماية الحدود والمواضع التي يصعب حمايتها ودفع هجمات القبائل عنها، لقاء الاعتراف لها بالسلطان على القبائل الأخرى ومدها ببعض المال سنوياً. وقد يكون الموقف الذي اتخذته بيزنطة وفارس من هذه القبائل ذا أثر على أوضاعها السياسية والدينية والاقتصادية ومن الممكن أن نرى بعض آثاره فيما بعد على طبيعة العلاقة بين هذه القبائل وبين الدولة الاسلامية وحركة انتشار الإسلام.

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ص٤٢.

(٢) الأصطخري الكرخي: المسالك والممالك، ص ٢٠؛ ابن حوقل: كتاب صورة الأرض، ص ٢٩.

(٣) الأصطخري الكرخي: المسالك والممالك، ص٢٦؛ ابن حوقل: كتاب الأرض، ص ٢٩.

(٤) ابن حوقل: كتاب الأرض، ص ٤١.

(٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٢١.

(٦) — Ismail R. Khalidi Article:
The Arab Kingdom of Ghassan. 1956, Vol.46, pp.202.
The Muslim World.

(٧) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٤٠ـ ٤٢، ٦٠١ ـ ٦٠٤.

وفي الفترة التي اتصلت بظهور الإسلام كان اللخميون في العراق حلفاء للفرس وكان الغساسنة في الشام حلفاء للبيزنطيين [١] .

ولعل ما أورده ابن حبيب في «المحبر» يصور بعض جوانب العلاقة بين هؤلاء الحلفاء وأهدافها ذكر ابن حبيب أنه لما غلبت غسان سليحا خاف ملك الروم أن يميل الغساسنة مع الفرس فأرسل إليهم «إني جاعلكم مكان سليح» وكتب بينه وبينهم كتاباً: «إن دهمكم دهم من العرب أمددتكم بأربعين ألف مقاتل من الروم وإن دهمنا دهم من العرب فعليكم عشرون ألف مقاتل، على أن لا تدخلوا بيننا وبين فارس فقبلوا وكتبت الكتب بينهم» [٢] .

والمبالغة في حجم المدد ظاهرة، وسواء جرى عقد كتاب بين الجانبين أم لم يجر، فإن الخبر يعبر عن أهداف الحلف بينهما وأما الطلب إلى الغساسنة بعدم الدخول بين الروم والفرس فهو صحيح إن كان المقصود منه عدم الانحياز إلى الفرس ضد الروم وأما إن كان المقصود منه الوقوف على الحياد فهو مخالف للواقع التاريخي الذي يشهد بوقوف الغساسنة إلى جانب الروم ضد الفرس.

وذكر فيليب ميرسون أن الإمبراطور البيزنطي جستنيان (٥٢٧ ـ ٥٦٥ م) تبنى الحارث الغساني واعترف بسلطانه على كل القبائل العربية التي يقدر أن يبسط نفوذه عليها وأن جستنيان فعل ذلك ليوازن بالعرب الغساسنة، العرب اللخميين الذين تبناهم الفرس وجعلوا يغزون الحدود البيزنطية بنجاح، فضلاً عن أن جستنيان وجد سياسة اتخاذ العرب الحرب حلاً عملياً مجدياً عسكرياً واقتصادياً في الدفاع عن الحدود ضد عدو مراوغ فرار [٣] .

(١) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ١٤٩؛

— Trimingham: Christianity among the Arabs p.180.

(٢) ابن حبيب البغدادي: المحبر، ص ٣٧١.

(٣) أنظر:

Philip Mayerson: Article «The First Muslim Attacks on Southern Palestine» A.D 633-634». 1964, pp.188-189.

ومثلما كانت بيزنطة على استعداد لمسادنة الغساسنة ضد لقبائل العربية فإن الطبري يذكر في تاريخه [١] أن الفرس كانوا جعلوا مع الأمير اللخمي كتيبتين هما: الدوسر والشهباء لمساعدته في غزو بلاد الشام ومن لم يدن له من العرب ويضيف إليهما ابن عبد ربه في العقد الفريد [٢] الصنائع والوضائع.

بدأت صفحة جديدة في حياة هذه القبائل السياسية، اشتملت على العلاقة بين اللخميين والفرس والعلاقة بين الغساسنة وبيزنطة، وهي علاقة اتسمت بتبعية هاتين الإمارتين العربيتين للفرس وللبيزنطيين [٣]، واشتملت على العلاقة بين هاتين الإمارتين وتأثر هذه العلاقة في الغالب، بالحالة بين بيزنطة وفارس سلمًا وحرباً، كما اشتملت على محاولات اللخميين والغساسنة في تطويع القبائل العربية لسلطانهم وهي محاولات كانت تجري ضمن دائرتين متداخلتين تمثل الأولى مصالح اللخميين والغساسنة ونفوذهم وتقع ضمن دائرة ثانية تمثل مصالح فارس ونفوذها ومصالح بيزنطة ونفوذها.

على أنه ينبغي ألا نذهب بعيداً في تضخيم سلطان هاتين الإمارتين فإضافة إلى تبعيتهما فإن بقاء التابع كان مرهوناً برضاء متبوعه [٤] وكانت سلطته مقيدة

---

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٦٧؛ حمزة الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض، ص ٨٨.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، المجلد الثاني، ص ٢٣٤.

جاء عند ابن عبد ربه في العقد الفريد المجلد الثاني، ص ٢٣٤ أن الصائع: من كان يأتي النعمان من العرب؛ الوضائع: من كان يقيم مع النعمان من العرب في الحيرة.

وجاء في مجمع الأمثال للميداني الجزء الأول، طبعة القاهرة، عام ١٣٤٢ هـ، صفحة ١٢٤ ما يلي: الصائع: بنو قيس وبنو تميم اللات ابني ثعلبة وكانوا خواصّ الملك لا يبرحون بابه. الوضائع: كانوا ألف رجل من الفرس يضعهم ملك فارس في الحيرة نجدة لملوك العرب وكانوا يرابطون سنة ثم ينصرفون ويأتي مكانهم ألف جدد.

(٣) — R.N. Frye: The Cambridge History of IRAN, Vol.4, pp.2.

(٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٦٠٤.

بسلطة الحاكم المعين من لدن الحكومة المركزية[١] وإلى جانبه عدد من المسالح والمدن المحصنة التي اتخذها الفرس والبيزنطيون كل في منطقته وسيلة أخرى لصد المغيرين[٢] . ويقول ابن حوقل والأصطخري حول وجود العرب في هذه المنطقة أنه كان تابعاً للفرس والروم لنزول هذه القبائل العربية على حكمهم وتأثرهم بديانتهم[٣] .

أما ابن الأثير[٤] فيقول أن الغساسنة وملوك الحيرة والعرب لم يكونوا مستقلين ولا بشبر واحد على سبيل التفرد والاستقلال.

ودخلت شبه جزيرة العرب في اهتمام الدولتين لا سيما المناطق الحيوية منها فشهد اليمن حالة من الصراع بين نفوذ الدولتين وقامت على أرضه كيانات سياسية تابعة وقد امتد أثر الصراع إلى منطقة الحجاز فحاول أبرهة الحبشي أن يستولي على مكة، ففشل وحاولت بيزنطة أن تدخل مكة في فلكها فلم تنجح، ووردت بعض الإشارات التي تبين رغبة بيزنطة في إلحاق مكة بدائرة نفوذها، فذكر ابن قتيبة في المعارف[٥] أن قبيلة خزاعة كانت تلي البيت حتى نصبوا الأصنام فصار قصي إلى مكة وحارب خزاعة بمن تبعه وأعانه قيصر عليها وأورد ابن كثير في البداية والنهاية[٦] خبراً وصفه بالخبر العجيب نقله عن الآمدي ومختصره: أن عثمان بن الحويرث تنصر واستنجد بقيصر على قومه قريش فأمر قيصر ابن جفنه ملك عرب الشام أن يجهز معه جيشاً لحرب قريش ولكن الحملة

---

(١) نولدكه: أمراء غسان، ص ١٦.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ١١٧ ابن رسته: الأعلاق النفسية ص ١٠٨.

(٣) ابن حوقل: كتاب الأرض، ص ٢٩؛ الأصطخري الكرخي: المسالك والممالك، ص ٥٠.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٣٠٣.

(٥) ابن قتيبة: المعارف، ص ٢٧٩.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، ج ٢، ص ٢٤٣.

لم تنفذ لأن الأعراب نهت ابن جفنه لما رأوه من عظمة مكة وكيف فعل الله بأصحاب الفيل.

وإذا صح الخبر، فإن المحاولة تكون قد جاءت بعد فشل حملة أبرهة للاستيلاء على مكة، كما أشار البكري [(١)] ، إلى أن النعمان بن الحارث الغساني أراد أن يغزو وادي القرى وأهله وأجمع على ذلك، ولكن أحد بني ذبيان حذره، وهذا مشبه للخبر الذي أورده ابن كثير. وعلى أية حال، ظل الحجاز خارجاً عن التبعية لنفوذ إحدى الدولتين [(٢)] مع وجود بعض العلاقات التي كانت تتصل في الغالب بأمور التجارة بينهما.

في هذا الوضع السياسي الذي لعبت ضرورات الجوار ومشكلاته في بنائه، كانت الأفكار تنتشر بين الحلفاء والجيران وتتجه في الغالب من القوي إلى الضعيف وكانت التجارة والتبشير لا سيما بالنسبة للنصرانية، حالات أخرى لانتشار هذه الأفكار بين القبائل العربية.

كانت القبائل العربية، إذا اخترنا أكثر الأوصاف انطباقاً على تدينها، وثنية ثم أخذت حالات التنصر تظهر بينها، فنزلت تنوخ ثم سليح ثم غسان بالشام في سلطان بيزنطة وتنصرت [(٣)] ، وكانت اياد وبكر وتغلب تعبد ذا الكعبات بسنداد [(٤)] ورحل فريق من إياد إلى الشام وتنصر [(٥)] ونزلت تغلب بأرض

---

(١) البكري: معجم ما استعجم، ص ٥٠.

(٢) د. أحمد الشريف: مقالة «قريش قبيلة العرب قبل الإسلام»، مجلة كلية الآداب والتربية، العدد الأول، ١٩٧٢ م، حزيران، ١٣٩٢ هـ جمادي الآخر.

(٣) ابن قتيبة: المعارف، ٢٧٨ ــ ٢٧٩؛ المسعودي: المروج، ج ١، ص ٣٦٥ ــ ٣٦٦.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٧٩ ــ ٩١؛

— Trimingham: Christianity among the Arabs p.118-122.

(٥) البكري: معجم ما استعجم، ص ٧٥ ــ ٧٦.

الجزيرة وتنصرت ودانت بدين الروم [1] وتنصرت طيء، وصنمها فلس [2] ، وتنصرت مذحج وبهراء ولخم وجذام وبلي [3] ودخل كثير من كلب، وصنمها ود [4] ، في النصرانية [5] ، وكان أكيدر دومة الجندل نصرانياً [6] . وتنصر بعض العرب من القبائل العربية التي في سلطان فارس بالعراق، نتيجة التبشير الفردية والرسمية [7] التي كانت بيزنطة ترعاها للتمكين لمصالحها [8] ، ونتيجة حركة التجارة [9] بين بيزنطة وفارس، فظهرت النصرانية في الحيرة واشتهر ذكر العباد [10] فيها.

ودخلت النصرانية شبه الجزيرة العربية، فتنصر كثير من بكر بن وائل وكثير من عبد القيس [11] وتنصر بعض أهل نجران في اليمن منهم من بني

---

(1) ابن حوقل: كتاب الأرض، ص ٢٩؛ الأصطخري الكرخي: المسالك والممالك، ص ٢٠.

(2) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٨٩؛ هشام بن الكلبي: الأصنام، ص ٦١.

(3) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٥٧.

(4) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٨٠.

(5) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩١.

(6) الشافعي: كتاب الأم، ج ٤، ص ٩٦ ـ ١٩٢؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٦٩.

(7) المسعودي: المروج، ج ١، ص ٢٣٥.

(8) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٦٢٧، ج ٦، ص ٥٩٠. ج ٣، ص ٥٣٣، ج ٤، ص ١٧١؛ اسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص ٤١.

(9) أنظر الخبر عن سلمان الفارسي عند ابن هشام في السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٢.

(10) البكري: معجم ما استعجم، ٢٣ ـ ٢٤، ويقول ابن العبري في كتابه «تاريخ مختصر الدول» صفحة ١٤٤ ما يلي:

العباد قوم من نصارى العرب من قبائل شتى اجتمعوا وانفردوا عن الناس في قصور ابتنوها بظاهر الحيرة وتسموا بالعباد لأنه لا يضاف إلاّ إلى الخالق.

— Trimingham: Christianity among the Arabs, p.154.

(11) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩١.

الحارث بن كعب[١] وتنصر نفر من قريش[٢] .

وبالرغم من هذا التحول إلى النصرانية ظل الشرك وعبادة الأوثان في سائر القبائل[٣] . والذي يلاحظ أن انتشار النصرانية بين القبائل العربية لم يكن على درجة واحدة، فكان في الشام أكثر منه في العراق وعلى أطراف شبه الجزيرة أكثر منه في داخلها وفي المناطق الحيوية الحساسة لبيزنطة وفارس غيره في المناطق الأخرى، حتى تكاد ظاهرة التنصر عند القبائل العربية تتماشى مع خط النفوذ السياسي لبيزنطة، وقد أشار اليعقوبي وابن حوقل والأصطخري[٤] إلى مثل ذلك، غير أن هذا التماشي لم يكن دائمًا ولا كاملاً فهناك استثناءات وليدة ظروف وعوامل أخرى.

وتجاوز أثر الوضع السياسي الحالة الدينية للقبائل العربية إلى الموارد الاقتصادية، فالمعلوم أن بيزنطة وفارس كان يقلقهما اندفاع القبائل العربية وأعمال الغزو الذي كانت تقوم به، وكانت رغبة هاتين الدولتين في ضبط هذا النشاط المعادي وتوجيهه واحداً من أسباب إنشاء إمارة الغساسنة وإمارة اللخميين، وقد نجم عن ذلك قيام هاتين الإمارتين بفرض سلطانهما على القبائل العربية في المنطقة بين الدولتين وتأمين مرور القوافل التجارية[٥] في المنطقة ومنع القبائل من فرض جعالات زائدة عليها ووقف اعتداءاتها عليها أو على

---

(١) الشافعي: كتاب الأم، ج ٤، ص ٩٥؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٩٠ ــ ٩١؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٣٩؛ حمزة الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ص ١١٣.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ص ٢٣٨ ــ ٢٤٧.

(٣) ابن مطهر المقدسي: البدء والتاريخ، ج ٤، ص ٣١.

(٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٥٤؛ ابن حوقل: كتاب الأرض، ص ٢٩؛ الأصطخري الكرخي: المسالك والممالك، ص ٢٠.

(٥) — R.N. Freye, The Cambridge History of IRAN, Vol.4, pp.2.

الحواضر[1] . ويبدو أن الغساسنة واللخميين كانوا يجبون أحياناً قدراً من المال أتاوة على هذه القبائل[2] ويتخذون بعض المراعي حمى لهم[3] لا ترعى إلاّ بإذنهم. وكان تنفيذ هذه الواجبات يؤدي في الغالب إلى وقوع الحروب بين هذه الإمارات وبين القبائل ثم بين هذه الإمارة وبين تلك الإمارة[4] .

كانت الإمارات العربية تتلقى مساعدات مالية من الدولة[5] التي تتبعها الإمارة، وكانت الإمارة تعد غزو هذه القبيلة أو تلك الإمارة مشروعاً للحصول على المال[6] تأخذه من القبائل المغزوة وتأخذه من الدولة المتبوعة بحجة الإنفاق على المشتركين في الغزو، كما كانت بعض القبائل تشترك في الغزو بقصد الحصول على الغنائم[7] ، ويبدو أن المساعدات المالية التي كانت تقدمها الدولة للإمارة التابعة كانت تشكل مورداً حيوياً في دخل الإمارة الاقتصادي وتلعب دوراً هاماً في علاقاتها مع الدولة المتبوعة وكانت هذه الدولة تتخذ هذه المساعدات سيفاً تشهره على تابعتها إذا أساءت الأخيرة إلى متبوعتها. ولا ريب أن هذه المساعدات المالية كانت من الروابط القوية التي كانت تشد الإمارة إلى

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ص ١٦٩؛ البجاوي: أيام العرب في الجاهلية، ص ٢ ــ ٣؛ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٦٠٥ ــ ٦٠٦.

(٢) حمزة الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ص ٨٤ ــ ٨٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٣٠٥.

(٣) نولدكه: أمراء غسان، ص ٤١.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٣٣٤ ــ ٣٣٥؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٣٩١؛ حمزة الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ص ٩٠ ــ ٩٢؛ ابن قتيبة: المعارف، ص ٢٨٤ ــ ٢٨٥.

(٥) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٩٥ ــ ٩٦؛ نولدكه: أمراء غسان، ص ٢٥؛ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٣.

(٦) نولدكه: أمراء غسان، ص ٢٥.

(٧) البكري: معجم ما استعجم، ص ٧٠ ــ ٧١.

الدولة المتبوعة وتدفعها إلى الوقوف إلى جانبها وبالمقابل كان التقصير في تقديم المساعدة وحجبها عن الإمارة التابعة مدعاة لاضطراب العلاقات بين الجانبين [1].

نلاحظ مما سبق، اشتمال السلطان والمال عند اللخميين والسلطان والمال والدين عند الغساسنة، أساساً للعلاقة التي قامت بين هذه الإمارة أو تلك وبين الدولة المتبوعة.

أما بالنسبة للقبائل المعنية بالتبعية فكانت تعترف فيما بينها لهذه الإمارة أو تلك بالتبعية ما دامت الإمارة قادرة على ربط هذه القبائل بها وتطويعها فإذا أحست القبائل بنفسها من قوة أو من الإمارة ضعفاً سعت إلى الخروج عليها. ولا بد هنا من الإشارة إلى بعض القبائل العربية مثل تنوخ التي نزلت في داخل بلاد الشام وتعاطت مهنة الزراعة [2] وكانت أكثر تمدناً من غيرها فإنه يبدو أن لا سلطان مباشراً للغساسنة عليها [3] وباستثناء مثل هذه القبائل وباستثناء حالات الشقاق بين الإمارة وبين القبائل التابعة لها، كانت العلاقة بين الجانبين تمثل في الغالب العلاقة بين الإمارة وما يتبعها من القبائل وبين الدول المتبوعة. والذي يبدو أن الأسس التي قامت عليها العلاقة بين الجانبين لم تكن على درجة واحدة في قوة التأثير فيها ويأتي عامل الدين آخر العوامل المذكورة.

كانت القبائل العربية التي انتشرت في المنطقة التي كانت تتبع سلطان

---

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٦٤٣ ز، ص ٦٣١؛ نولدكه: أمراء غسان، ص ٣١ ـ ٣٢، وانظر مقالة:

— Philip Mayerson: The First Muslim Attacks on Southern Palestine. (A.D.633-634) pp.158.

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٣٨.

(٣) نولدكه: أمراء غسان، ص ٤٤.

— R.Bell. The Origin of Islam, pp.22-23.

الفرس قد تحول بعض أفرادها إلى النصرانية، والظاهر أنهم عاشوا عيشة إخوانهم العرب الوثنيين في علاقتهم مع الفرس، فقيل أن هوذة بن علي الحنفي كان نصرانياً وكان يتودد للفرس وعقد له كسرى التاج وتحالفا معاً للإيقاع ببني تميم[١] وقيل أن المنذر بن ساوى كان نصرانياً وكان عاملاً للفرس في البحرين[٢] وكان للعباد وهم نصارى وجه مقام في الحيرة واختارهم الفرس تراجمة لهم يتولون المراسلة بينهم[٣] وبين العرب وكان اللخميون في الوقت نفسه، وثنيين وعمالاً للفرس[٤] .

ولا يقال هنا في تعليل هذه العلاقة أن نصارى العرب في ظل الفرس كانوا في الغالب من أتباع المذهب النسطوري[٥] المعارض للمذهب الرسمي البيزنطي، فسياسة بيزنطة خارج حدودها كانت تقوم على مساعدة النصرانية مهما كان مذهبها وكان الإمبراطور يعد نفسه حامي النصرانية في كل المسكونة[٦]. ويبدو أن نصارى العرب في ظل الفرس عاشوا في علاقاتهم مع بعضهم ضمن الإطار القبلي لم يخرجوا عليه حتى أن القبائل النصرانية مثل بني تغلب، مارست الغزو ضد غيرها من القبائل العربية وحاربت مع اللخميين ضد الغساسنة دون التقيد بالوازع الديني[٧] .

وعاش نصارى العرب الذين كانوا في ظل البيزنطيين ويجمع بينهم وبين البيزنطيين دين النصرانية، ضمن الإطار القبلي وكانت حروبهم مع اللخميين،

---

(١) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ١٦٩.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٨٩، طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٣، ص ١٧١.

(٤) — R.Bell. The Origin of Islam. pp.26-27.

(٥) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٢١٦.

(٦) أسد رستم: الروم وصلاتهم بالعرب، ج ١، ص ١٦٨.

(٧) فيليب حتي: تاريخ العرب مطول، ج ١، ص ٣١.

فضلاً عن دورانها في الغالب على محور العلاقات البيزنطية الفارسية، قبلية لعب الثأر والانتقام للقبيلة والدفاع عن مصالحها عاملاً مهيجاً فيها، وكان القتال بينهما يحدث أحياناً بالرغم من توقفه بين البيزنطيين والفرس (١)، وقد يخالف ما سبق أن نجد من يربط الخلاف بين بيزنطة في عهد جستنيان وخلفائه من بعده، وبين أمراء الغساسنة في عهد الحارث بن جبله وخلفائه من بعده (٢) بالانقسامات المذهبية في دولة بيزنطة حيث كانت بيزنطة تتخذ الأرثوذكسية مذهباً رسمياً لها (٣) وتعمل على ربط رعاياها بكيان الكنيسة الرسمية (٤) وتقاوم المذاهب الأخرى وتضطهد أتباعها، بينما قيل أن أمراء الغساسنة كانوا من أتباع مذهب الطبيعة الواحدة (٥) وعقدت في رعايتهم بعض المجامع الدينية وتولوا الدفاع عن أتباع هذا المذهب الذين تعرضوا لاضطهاد الدولة، الأمر الذي يوحي بقوة تدين هؤلاء الأمراء وتعلقهم بمذهبهم ودفاعهم عنه.

وقد اعتمد نولدكه في حديثه عن هذا الخلاف على ما كتبه يوحنا الأفسي ويوحنا الأفسي (٥٠٥ ــ ٥٨٥ م) كان مؤرخاً من أتباع الطبيعة الواحدة، نصّبه جستنيان رئيساً على طائفة أتباع الطبيعة الواحدة الموجودين في القسطنطينية (٦) وكان متعصباً للغساسنة (٧)، أما ابن العبري فكان من أتباع الطبيعة

(١) نولدكه: أمراء غسان، ص ٨١، ص ٢٤ ــ ٢٥.
— Trimingham: Christianity among the Arabs, p.197.
(٢) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٨٧؛ نولدكه: أمراء غسان، ص ٢١ ــ ٣٣.
(٣) عبد القادر أحمد: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٧٨.
(٤) أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٨٢.
(٥) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٨٧.
(٦) أنظر:
— The New Columbia Encyclopedia-John Ephesus.
(٧) نولدكه: أمراء غسان، حاشية ص ٢٥، ص ٢٩.

الواحدة [١] ، وكان ينقل بدوره عن يوحنا الأفسي، ويبدو أن تفسير الخلاف بين البيزنطيين وبين أمراء الغساسنة تفسيراً دينياً يناسب ميول يوحنا الأفسي، ويمكن أن يكون ما أضفاه يوحنا على أمراء الغساسنة من موقف الدفاع عن مذهب الطبيعة الواحدة والتضحية في سبيلها والمحاماة عن أتباعها قصد به الإشادة بالفكرة والإغراء بأتباعها والدفاع عنها فضلاً عما يجد يوحنا في ذلك من العزاء لما يلاقيه أتباع مذهبه من الاضطهاد ولا يقدر على إزالته أو رده، ثم لإلقاء التبعة على خصوم الطبيعة الواحدة من رجال الدولة في بيزنطة وتحميلهم مسؤولية الخلافات الجارية.

غير أن معرفة هذا الخلاف وأسبابه لا تكون بمعزل عن إدراك الوضع العام لبيزنطة وبخاصة في القرن السادس الميلادي الذي يعد الحاضن لهذا الخلاف.

كان جستنيان (٥٢٧ ــ ٥٦٥ م)، مشغولاً باستعادة ما انتزعه البرابرة من أراضي روما [٢] وحقق في هذا المجال نجاحاً كبيراً أفزع الفرس وجعلهم يتعجلون الاشتباك معه قبل إتمام مشروعه [٣] واضطر جستنيان إلى خوض المعركة مع الفرس وتوقيع الصلح معهم [٤] عام **٥٣٢** م ثم داهم بيزنطة عام **٥٤٢** م وباء الطاعون بشكل لم يعرف له مثيل منذ ثلثمائة سنة وكانت نتائجه كما ذكر بروكوبيوس لا تدع مجالاً للشك في أنه كان أشد تأثيراً من أي عامل آخر في إضعاف بيزنطة [٥] واشتدت هجمة الفرس على بيزنطة واضطر جستنيان إلى توقيع صلح معهم عام **٥٤٥** م وقيل أنه قبل أن يدفع لهم عند التصديق على المعاهدة كمية كبيرة من الذهب [٦] .

---

(١) ابن العبري: مقدمة تاريخ مختصر الدول.

(٢) نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٤٩.

(٣) أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٧٧.

(٤) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٢١٨ ــ ٢١٩.

(٥) نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٥١؛ أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٧٩.

(٦) أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٧٨.

وبسبب مشاريع جستنيان وطموحاته التي زجت بيزنطة في حرب قاسية مع أعدائها على الجبهة الشرقية الفارسية والجبهة الغربية في إيطاليا وأفريقيا، دفعت بيزنطة ثمناً غالياً وبدأت منذ عام ٥٥٦ م تعتريها حالة من الفوضى والانحلال.

ولم يكد جستنيان ينتقل إلى الدار الآخرة حتى أخذت ثمرات جهوده تصفى تصفية مخربة، فأعلنت بيزنطة في الداخل إفلاساً مالياً وحربياً وعاد الخطر الفارسي يجثم على صدرها بصورة مخيفة [١] واضطر خلفاء جستنيان [٢] في ظل هذا الوضع المتدهور إلى التخلي عن سياسة جستنيان وتجنب التحرش بالفرس وإذا اضطروا إلى حربهم سارعوا إلى قبول الصلح معهم [٣]، كما عمدوا إلى تخفيف المساعدات المالية للغساسنة [٤]، ومما يصور سوء الأزمة المالية التي كانت تمر بها بيزنطة في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي، أن إجراءات خلفاء جستنيان لم تنقذ الحالة المالية واستمرت حالة التدهور حتى اضطرت بيزنطة في السنوات الأولى من حكم هرقل أن توقف صرف الأموال التي كانت تنفق في توزيع المواد الغذائية على سكان العاصمة [٥]. وإذا ربطنا ما سبق ذكره عن وضع بيزنطة، مع ما جاء عن وقوع حروب بين الغساسنة وبين اللخميين في أوقات الصلح بين بيزنطة وفارس [٦] ومطالبة المنذر بن الحارث الغساني بيزنطة بالمال للنفقة على حربه مع اللخميين ورفض بيزنطة أن تدفع له

---

(١) شارل ديل: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٣٣.

(٢) وهم: جستين الثاني (٥٦٥ ـ ٥٧٨ م)؛ طيباريوس (٥٧٨ ـ ٥٨٢ م)؛ موريق (٥٨٢ ـ ٦٠٢ م).

(٣) نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٥٢.

(٤) رم لاندو: الإسلام والعرب، ص ٢٥.

(٥) نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٦٠.

(٦) نولدكه: أمراء غسان، ص ١٨؛ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٣، ص ٤١٣.

واعتباره المسؤول عن إثارة الحرب مع اللخميين [1] وخوف بيزنطة من التحرش بالفرس حتى لا يتخذ الفرس المناوشات بين الغساسنة واللخميين ذريعة لإعلان الحرب عليهم مثلما فعل الفرس عام ٥٤٠ م [2] . ثم أضفنا إلى ذلك اشتراك الغساسنة إلى جانب البيزنطيين ضد الفرس بلا إبطاء إضافة إلى ما ذكره نولدكه من معلومات خاصة بأمراء الغساسنة مثل قوله أن الحارث بن جبلة كان لا يدرك الشيء الكثير عن حقيقة المسائل التي كانت تدور عليها المنازعات بين الكنيسة اليعقوبية وبين كنيسة الدولة أو بين سائر الأحزاب التي تنقسم إليها كنيسة اليعاقبة وإنما كان الحارث مدفوعاً بالعامل السياسي [3] وما ذكره عن ابتناء المنذر بن الحارث بعدة نساء [4] وترأس النعمان بن المنذر إخوته في الخروج على بيزنطة انتقاماً لأبيه [5] وما ذكره هشام بن الكلبي [6] عن ابن الحارث بن أبي شمر وهو الحارث بن جبله[7] من أنه أهدى سيفين لصنم مناة أو صنم الفلس، أخذهما المسلمون عند هدم هذه الأصنام وإزالة عبادتها. صار في الغالب أن الخلاف بين الغساسنة وبيزنطة كان سياسياً أقوى منه دينياً.

وقد أشار «ترتون» إلى ضعف تدين هذه القبائل بالنصرانية وقال فيه «أنه كان اسمياً» [8] وقال ريتشارد بل «أن الكنيسة لم تنجح حقيقة في تثبيت قدمها بين العرب على الاطلاق»[9] ولم يوافق ريتشارد بل، ما ذهب إليه لويس شيخو

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٣، ص ٤١٣.
(٢) أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٧٧.
(٣) نولدكه: أمراء غسان، ص ٢٢.
(٤) نولدكه: أمراء غسان، ص ٣١.
(٥) نولدكه: أمراء غسان، ص ٣٢.
(٦) أنظر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، كتاب الأصنام، ص ١٥، ٦٢.
(٧) نولدكه: أمراء غسان، ص ٢٢، ٥٧.
(٨) — Triton. The caliphs and their non-Muslim subject, pp.76.
(٩) — R.Bell. The Origin of Islam, pp.16.

في التدليل على نصرانية هذه القبائل وقال: «ويمكن القول بعدم وجود وازع ديني عند هذه القبائل»[١] أما ولفنسون فقال: «إني أعتقد أن النصرانية لم تتغلب في وقت ما على النفوس العربية» [٢] .

ولعل اتخاذ النصرانية الآرامية لغة دينية دون العربية وعدم وجود ترجمة عربية للانجيل متداولة بين العرب وغياب كنيسة وطنية بين القبائل العربية [٣] والمنازعات الموصولة بين الجماعات النصرانية التي زعمت كل منها أن تفسيرها للحقيقة هو وحده الصحيح [٤] ، كان مسؤولاً بعض الشيء عن ضعف أثر النصرانية في هذه القبائل إضافة إلى أن النصرانية عقيدة وجدانية لا ينبثق عنها نظام يعالج جميع مشاكل الحياة وليست قادرة على أن تمثل تحدياً لطريقة حياة العرب وتغير نمط حياتهم [٥] .

شهدت الأيام الأخيرة من القرن السادس الميلادي اهتزازاً في العلاقات العربية الفارسية البيزنطية فقد أطاح كسرى أبرويز باللخميين وأحل محلهم أياس بن قبيصة الطائي عاملاً على الحيرة [٦] ، واختلفت الأخبار حول الأسباب التي أدت إلى إزالة سلطان اللخميين:

فقيل أن النعمان بن المنذر لم يقدم لكسرى ابرويز ما احتاج إليه في هربه من وجه بهرام بينما قدم اياس بن قبيصة له المساعدة التي يحتاجها [٧] ، فلما

---

(١) — R.Bell. The Origin of Islam, pp.17.

(٢) أنظر ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص ٣٧.

(٣) — Trimingham: Christianity among the Arabs, p.17; Trimingham: Chritianity among the Arabs, p.79.

(٤) رم لاندو: الإسلام والعرب، ص ٤٠.

(٥) — Trimingham: Christianity among the Arabs, p.308-309.

(٦) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٢١٣؛ المسعودي: المروج: ج ١، ص ٣٦٣؛ حمزة الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ص ٩٦.

(٧) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٢٠٦.

ظفر كسرى بالتاج عاقب النعمان بإزالة السلطان عنه وكافأ آيسا باتخاذه عاملاً، ويبدو أن هذا السبب غير كاف للإطاحة بالأسرة اللخمية فلو فرضنا قبول هذا الخبر في إسقاط النعمان بن المنذر فإنه لا يبدو كافياً لإزالة سلطان الأسرة اللخمية بكاملها.

وقيل إن النعمان راح ضحية المؤامرة التي حاكها ضده زيد بن عدي العبادي الذي كان من تراجمة كسرى للاطاحة به انتقاماً لأبيه عدي الذي قتل في سجن النعمان (١) ويمكن رد هذا الخبر كسبب للإيقاع باللخميين بمثال ما رد به الخبر الأول.

وجاء في الأخبار الطوال (٢) في جواب كسرى إلى شيرويه أن إزالة ملك اللخميين كان بسبب تواطؤ النعمان وأهل بيته مع العرب لتوقعهم بانتقال الملك عن الفرس إلى العرب ولذلك أزالهم وولي أياس بن قبيصة الذي لا يعقل من ذلك شيئاً.

والقول بتوقع النعمان وأهل بيته انتقال الملك عن الفرس إلى العرب لا مبرر له إذ لم تكن في ذلك الوقت قوة عربية تبعث في النفوس أمل انتقال سلطان الفرس إلى العرب وتثير مثل هذا التوقع. وقد يكون توقع انتقال سلطان الفرس إلى البيزنطيين أقرب من انتقاله إلى العرب.

وأما ما ورد في الخبر من نسبة العلم إلى النعمان ونسبة الجهل إلى أياس فهو ما يضعف الثقة بالخبر إلا أن يكون الخبر إشارة إلى عدم رضى القبائل بأياس.

---

(١) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ١٩٣.

(٢) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص ١٠٩ ــ ١١٠.

وربما يكون زوال سلطان اللخميين لضعفهم عن ضبط القبائل العربية وعجزهم عن وقف تعدياتها على المنطقة الفارسية (١) وقد يكون زوال ملك اللخميين مراعاة من كسرى للعلاقات التي نشأت بينه وبين موريق امبراطور بيزنطه على أثر مساعدة الأخير له في استعادة عرشه وقيام حالة من الصداقة بين الجانبين فأزال كسرى اللخميين الذين استشرت العداوة بينهم وبين الغساسنة وأقام أياس بن قبيصة الطائي عاملاً له مكانهم.

وعلى أية حال فإن أياس بن قبيصة عجز عن ضبط القبائل التي اتسعت تعدياتها على الفرس ولما حاول كسرى تجنيد أياس بن قبيصة وغيره من العمال العرب في المنطقة العربية الفارسية وبعض القبائل العربية مثل تغلب وأياد ودعمهم بقوة فارسية لاخضاع القبائل العربية المناهضة (٢) للفرس، فشلت هذه المحاولة في معركة ذي قار التي يمكن أن تكون قد وقعت ما بين عام ٦٠٤ ــ ٦١١م (٣) وانتصرت قبائل بكر بن وائل وألحقت بالتجمع الموالي للفرس الهزيمة (٤)، وقد يكون من آثار هزيمة الحلف الموالي للفرس ضعف هيبة هؤلاء في أعين القبائل المناهضة وجرأة هذه القبائل على الفرس واتباعهم فضلاً عن زعزعة الرابطة السياسية بين الجانبين ولا غرو أن تكون بكر بن وائل في طليعة الجيش الاسلامي المتجه إلى فتح المنطقة الفارسية.

وقد انتهى الأمر بالفرس في الأرجح إلى أخذ زمام الأمور في الحيرة من يد

---

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ١٦٩.

(٢) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٢٠٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٩٠.

(٣) — R.N. Frye, The Cambridge History of IRAN, Vol.4, pp.4.

(٤) ابن حبيب: المحبر، ص ٣٦٠؛ أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٢١٣.

العامل العربي وتفويضها إلى الحاكم الفارسي (١) .

أما في اليمن فقيل أن سيف بن ذي يزن خرج إلى قيصر مستنجداً به لاخراج الأحباش الذين ظلموا وإن صح خبر خروج سيف إلى قيصر كان ذلك جهلاً من سيف بالارتباط القائم بين الأحباش وبين البيزنطيين فقيصر لم يشك سيفاً ولم يجد سيف عنده شيئاً مما يريد (٢) وإنما كانت النجدة له من جانب الفرس أعداء البيزنطيين وتم طرد الأحباش من اليمن ولكنها صارت تدار من قبل حاكم فارسي عليها (٣) .

أما القبائل العربية في المنطقة البيزنطية فقيل أنها تشتت بعد أسر المنذر بن الحارث والقبض على النعمان وانحاز قسم منها إلى جانب الفرس والتجأ فريق آخر إلى الصحراء وقد انعكس ذلك على الوضع السياسي في المنطقة التي كان الغساسنة يحجزون الغارات عنها فعمتها الفوضى وتعرضت لغارات البدو وهجمات عمال الفرس فاضطرت بيزنطة ثانية إلى تبني الغساسنة لقدرتهم على خدمة مصالحها أكثر من غيرهم من القبائل العربية (٤) .

غير أن الفرس لم يمهلوا المنطقة واكتسحوها ما بين ٦١٠ ــ ٦١٩ م وارتكبوا جرائم القتل بحق النصارى وبخاصة في القدس (٥) والأخبار الواردة حول

---

(١) المسعودي : المروج، ج ١، ص ٣٦٣ ؛ حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ص ٩٦ .

— William Muir. The Caliphate: Its Rise, Decline and Fall pp.58.

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية، ج ١، ص ٦٤ ــ ٧٠ ؛ حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض، والأنبياء، ص ١١٤ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية، ج ١، ص ٧١ .

(٤) نولدكه : أمراء غسان، ص ٣٣، ٤٥ ــ ٤٦ .

(٥) أبو جعفر الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ١٧٥ ــ ١٨٢ ؛ المسعودي : المروج، ج ١، ص ٢٠٦ ــ ٢٠٧ ؛ أومان : الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٠٣ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ١، ص ١٩١ ــ ١٩٢ .

— Butler, The Arab Conguest of Egypt, pp.58-60.

الفترة التي سيطر الفرس فيها على بلاد الشام لا تسعف في تكوين صورة واضحة عن وضع القبائل العربية في هذه المنطقة. إلا أنه لابد من وجود بعض المحاربين من هذه القبائل في صف بيزنطة [1]، أما هذه القبائل فقد تكون بعد اجتياح الفرس ومن معهم من القبائل العربية المعادية لها، تراجعت نحو الصحراء محترسة ألا تقع بأيدي الجيوش المغيرة، وانها استغلت الفوضى التي ترتبت على الهجوم الفارسي للاغارة على الحواضر [2] ولكنه قضي كما يبدو على ملك الغساسنة [3] وعندما استعادت بيزنطة بلاد الشام من الفرس يمكن أن تكون اصطنعت الغساسنة [4]، ونجد في بعض المصادر التاريخية إشارة إلى وجود بعض العمال العرب المعينين من قبل بيزنطه مثل: فورة بن عمرو الجذامي الذي قيل أن عمالته كانت في معان [5] وقيل في عمان [6]، من أرض البلقاء. وقد يكون من جراء اجتياح الفرس لبلاد الشام وهزيمة البيزنطيين أمامهم وغياب ظل البيزنطيين عن القبائل العربية قرابة عشرين عاماً وما كانت تعانيه بيزنطة من مشكلات أن صارت هذه القبائل أكثر تحرراً في علاقتها مع بيزنطة وصار ارتباطها أكثر ضعفاً من ذي قبل، إلا أن هذا الضعف في العلاقات مع الفرس والبيزنطيين لم يوازنه قوة في العلاقات بين القبائل العربية

---

(١) جب: دراسات في حضارة الإسلام، ص ٦٤.

(٢) — Philip Mayerson: Article, The First Muslim.
— Attacks on OUTHERN Palestine (A.D. 633-639) pp.191.

(٣) نولدكه: أمراء غسان، ص ٤٥ ــ ٤٦.

(٤) نولدكه: أمراء غسان، ص ٣٥؛ عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب، ج ١، ص ٢٩٣.

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٣٧ ــ ٢٣٨؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٧٩؛ النويري: نهاية الارب، ج ١٨، ص ٢٩؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج ٢، ص ٢٤٤.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٦٢.

نفسها وظلت هذه العلاقات غير حسنة، وظلت المصالح الفردية تلعب دورها في تأكيد الاطار القبلي وتكريس استقلال القبيلة لخدمة هـذه المصالـح وكانت الأحلاف بين القبائل تنطلق من هذا المفهوم لا تتعدى حدود المنازعات بين القبائل ولا تتجاوز مجال الحس بالقبيلة.

وعلى أية حال فإن الأسس التي قامت عليها العلاقات العربية الفارسية البيزنطية وهي المال والسلطان والدين لم تتمكن من صهر هذه القبائل في أي من المجتمعين: البيزنطي أو الفارسي، كما عجزت عن بعث القوة فيها وبناء مجتمع خاص بها بل تعرضت الأسس نفسها إلى هزة امتد أثرها إلى هذه القبائل فأوهنها دون أن يقضي عليها أو يولد الردة عليها وكانت القوة التي انبعثت في الحياة العربية ظهرت في منطقة الحجاز بعيداً عن هذه القبائل وبعيداً عن مجال نفوذ فارس وبيزنطة متمثلة بظهور الاسلام.

أدى ظهور الاسلام إلى وقوع الصدام بينه وبين الموروث لدى القبائل العربية من اعتقادات وغيرها وبينه وبين ما عند أهل الكتاب ومن تابعهم من العرب من قول واعتقاد، وكان الصراع أول الأمر فكرياً ثم لم يلبث أن تحول إلى صراع فكري وعسكري، وقد تناول نظرة الإنسان إلى الوجود ونظرته إلى المعبود الذي يتوجه إليه، ودارت الآيات القرآنية العديدة حول هذا المحور العقائدي تدعو العقل والفطرة إلى الوحدانية وتنافح عنها وتحاور أهل الملك والاعتقادات وتجادلهم.

والذي يبدو في السنين الأولى من تاريخ الدعوة الاسلامية، أن الذين وقفوا خصماً للاسلام كانوا قريشاً ومن إلى جانبها من القبائل العربية وهم وثنيون، وكان يعاونهم أحياناً بعض اليهود الذين كانوا في احتكاك مع المسلمين، ويبدو أن لا ذكر للنصارى في هذه المرحلة من مراحل الصراع بين الاسلام ومناوئيه،

بل نجد أن الرسول عليه السلام، اختار الحبشة النصرانية ليهاجر المسلمون إليها هجرتهم الأولى، وأثنى على ملكها آنذاك[1] .

أما في مجال الفكر فإن الآيات القرآنية التي تعرضت لليهود لم تغفل ذكر النصارى في حديثها عن أمور العقيدة[2] ، وكانت إذا توجهت بالخطاب إلى الفريقين: اليهود والنصارى استعملت لفظ، أهل الكتاب[3].

أما باقي العرب في شبه الجزيرة فكانت غالبيتهم ترقب باهتمام ما يدور بين المسلمين وبين قريش وأعوانها لحديث ابن اسحاق «وإنما كانت العرب تربص بالاسلام أمر هذا الحي من قريش وأمر رسول الله» ويرون أن محمداً صادق ونبي إن ظهر المسلمون على قريش[4] .

فلما انكسر حد قريش وأسلمت عام الفتح وسيطر المسلمون على الحجاز بما فيه مكة بلد البيت الحرام، علا شأن الاسلام أكثر من ذي قبل وتحسن مركز المسلمين وانتشر صدى ذلك في أنحاء الجزيرة العربية وقد يكون تجاوزها وصار

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٤٤.
وجاء في تفسير أبي جعفر الطبري لقوله تعالى:
﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا، الذين قالوا إنا نصارى، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وإنهم لا يستكبرون﴾ من سورة المائدة، آية ٨٢. قال أبو جعفر الطبري عند تفسير هذه الآية نقلاً عن سعيد بن جبير ومجاهد وابن عباس والسدي وعطاء قيل أن هذه الآية نزلت في النجاشي ملك الحبشة وأصحاب له أسلموا معه.

(٢) أنظر الآيات من سورة البقرة: ٦٢، ١١٣، ١٢٠. ومن سورة المائدة: ١٨، ٥١، ٨٢. ومن سورة الحج: ١٧. ومن سورة التوبة: ٣٠.

(٣) أنظر الآيات من سورة آل عمران: ٦٤، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٩٨، ١١٠، ١١١، ١١٣، ١٧١، ١٩٩. ومن سورة المائدة: ٥، ٦٥، ٦٨.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية: ج ٤، ص ٢٠٥؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٣٥؛ النويري: نهاية الارب، ج ١٨، ص ٩٥.

حسم العلاقة مع غير المسلمين أمراً مناسباً، فحددت الآيات التي نزلت من سورة التوبة عام تسع للهجرة العلاقة مع المشركين ومنهم العرب الوثنيون، وحددت العلاقة مع أهل الكتاب ومنهم النصارى، فحرمت دخول المسجد الحرام على المشركين وأعلنت القتال عليهم حتى يدخلوا في الاسلام وأمرت بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يعطوا الجزية للمسلمين [١].

وقد يكون هذا الموقف الحازم عاملاً آخر في زيادة الوفود العربية إلى المدينة، وصارت المدينة قبلة أنظار القبائل العربية في شبه الجزيرة ومحط رحال وفودها وسنقصر الحديث على الوافدين العرب الذين استجابوا لما جدّ وكان لهم أو قيل أن لهم صلة بالنصرانية.

كان أهل نجران بعض أهل اليمن الذين أرسلوا بوفودهم إلى المدينة، وكانت النصرانية تسربت إليهم من المراكز النصرانية في سوريا وما بين النهرين والحبشة [٢]، وتذكر الأخبار التاريخية قدوم وفدين نجرانيين: أحدهما وفد بني الحارث بن كعب وكانوا دخلوا في النصرانية [٣]، فأرسل إليهم الرسول خالد بن الوليد يدعوهم إلى الاسلام فأسلموا وقدم وفدهم إلى المدينة، ثم بعث الرسول عمرو بن حزم ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة ومعالم الاسلام وكتب لهم كتاباً بين فيه أحكام الاسلام وشرائعه [٤].

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٨٨ ــ ١٩٣.

(٢) Richard Bell: The Origin of Islam p.:17, 36 —

(٣) النيسابوري: مغازي النبي، ص ٣٢٦، مخطوط رقم ٨٠٤، دفتر حكيم أوغلي علي باشا كتنجانه، استانبول.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٣٩ ــ ٢٤٢؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٣٩؛ النويري: نهاية الارب، ج ١٨، ص ١٠٣؛ سليمان بن موسى الكلاعي: الاكتفاء في السير ومغازي الخلفاء الثلاثة، مجلد ثاني ص ٤٩، مخطوط رقم ٢٩٧٢، أيا صوفية، استانبول؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٠٠.

وثانيهما كان يضم ستين راكباً من نصارى نجران فيهم أبو حارثة بن علقمة من بني بكر بن وائل وكان أسقف القوم وحبرهم وإمامهم شرّفه ملوك النصرانيه وموّلوه، وكان في الوفد رجال آخرون تدل أسماؤهم على أنهم عرب منهم: أوس والحارث ويزيد وقيس وعمرو وخالد وغيرهم[١] ، وأقام الوفد في المدينة أياماً تطرق حديثهم فيها مع الرسول إلى بعض الأمور في العقيدة وقيل أن بضعاً وثمانين آية من سورة آل عمران نزلت بسبب ذلك، ولم يسلم الوفد واعلم أبو حارثة الرسول عليه السلام، أن ما يمنعه من الاسلام خلاف القوم له ولو أسلم لنزعوا منه كل ما أغدقوا عليه[٢]، ولعل للصلات بين نجران وخارجها علاقة في ذلك.

حصل الوفد من الرسول على أمان لهم شرط فيه عليهم أن يدفعوا ثمانين ألف درهم جزية عليهم أو ما يساويها من العروض فكانت ألفي حلة يؤدون نصفها في صفر والباقي في رجب[٣] ، وشرط عليهم عارية ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً إن كان باليمن كيد، وزاد أبو داود في سننه «وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح يغزون بها»[٤] . والمسلمون ضامنون لها حتى يردوها عليهم على أن لا يهدم لهم بيعة ولا يخرج لهم قس ولا يفتنوا عن دينهم ما لم يحدثوا حدثاً أو يأكلوا ربا[٥] . ورجع الوفد إلى بلاده ويقال أن الرسول بعث معهم أبا عبيدة بن الجراح ليقضي بينهم في أشياء اختلفوا فيها من أموالهم[٦] .

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٢٢ ــ ٢٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٢٥ ــ ٢٣٢.

(٣) أنظر تفسير سورة آل عمران عند أبي جعفر الطبري في تفسيره.

(٤) أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الخراج والفيء والإمارة باب الجزية.

(٥) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ١٣٩؛ ابن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٨٣؛ ابن الطلاع: أقضية رسول الله، ص ٢٧٧ ــ ٢٧٨.

(٦) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٣٣.

وبعثت القبائل العربية في شرق الجزيرة بوفودها، فجاء الجارود بن بشر ابن المعلي في وفد عبدالقيس، وكان الجارود نصرانياً، وخشي الجارود أن يكون الدين الجديد دون ما يدين به، فضمن الرسول له ذلك وأخبره أن الاسلام خير مما يدين به فأسلم الجارود وأسلم من معه (١) . وقال الرسول فيهم: أتوني لا يسألون مالاً وهم خير أهل المشرق (٢) .

وقد عرف الجارود بقوة الايمان وصلابة الاعتقاد، وقف إلى جانب الاسلام عندما شاع الارتداد في بعض الناس وخطب قومه وحضهم على الثبات ومجاهدة المخالفين (٣) .

وكان الرسول كتب إلى هوذة بن علي الحنفي الذي قيل أنه كان نصرانياً، يدعوه إلى الاسلام فاستحسن هوذة ما يدعو إليه النبي ولكنه طلب أن يجعل الرسول له بعض الأمر من بعده ليتبعه فلم يجبه الرسول ومات هوذة عام الفتح (٤) وقد شغله شاغل الإمارة عن اتباع الاسلام، وأرسل بنوحنيفة من بعده وفدهم إلى المدينة معلنين إسلامهم. ولما عاد الوفد قاموا بتحويل بيعة بلادهم إلى مسجد ورفعوا الآذان فيه، ويبدو أن الراهب الذي كان موكولاً إليه

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٢٢؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣١٤؛ أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ١٣٦؛ الديار بكري: الخميس في أحوال النفس النفيس، ص ٥٤٧، مخطوط رقم ٣٠٤٠، أيا صوفيا استانبول؛ سليمان بن موسى الكلاعي: الاكتفاء في السير ومغازي الخلفاء الثلاثة، مجلد ثاني، ص ١٠٣ مخطوط.

(٢) النويري: نهاية الارب، ج ١٨، ص ٦٥.

(٣) الكلاعي: الاكتفاء في السير، ص ١٠٣، مخطوط.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٦٢؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج ٢، ص ٢٦٩؛ النويري: نهاية الارب، ج ١٨، ص ١٦٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٤٦.

إقامة طقوس العبادة في البيعة كان أجنبياً، فلما عاين ما حدث رحل عن بلاد بني حنيفه [١].

وأسلم المنذر بن ساوي العبدي ملك البحرين الذي قيل أنه كان نصرانياً وأسلم معه من قومه من أحب الاسلام وأعجبه وقيل أسلم جميع من كان من العرب [٢] ، وأرسل إلى النبي عليه السلام يعلمه بذلك وأن بأرضه قوماً مجوساً ويهوداً ويسأله أن يحدث إليه فيهم فأجابه الرسول إلى ما سأل [٣].

أما فيما يتعلق بالقبائل العربية النازلة في المنطقة الشمالية من الجزيرة العربية فإن الفتح الاسلامي بدأ يتجه إليها منذ الخامسة للهجرة وازدادت سرايا الرسول وغزواته كثافة نحوها بعد ذلك، ولم تنقطع حتى قبيل وفاته عليه السلام، وهو ما لم يحدث مثله في المنطقة العربية المتاخمة للفرس أو في جنوب الجزيرة العربية. ومما يميز هذه المنطقة أنها كانت تشكل طريق التبادل التجاري بين الحجاز وبين الشام وكانت القبائل العربية النازلة فيها ترتبط مصلحياً ببلاد الشام، وكانت النصرانية، إذا وجدت بين أفرادها، مرتبطة ببيزنطة ومصالحها، ثم هناك جماعات اليهود الذين استعربوا تماماً وكانوا ينزلون في قرى شمال الحجاز وظلوا على علاقة وثيقة بيهود فلسطين [٤] .

فمن جهة نقض اليهود الذين ارتبطوا مع المسلمين، العهود والمواثيق مكراً وخرجوا على ما عاهدوا عليه فأجلى الرسول بعضهم مثل بني قينقاع إلى دباب

---

(١) النويري: نهاية الارب، ج ١٨، ص ٧٢.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٩١، دار الكتب العلمية.

(٣) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٦٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٠٣؛ الديار بكري: الخميس في أحوال النفس النفيس، ص ٤٧٨ مخطوط؛ النويري: نهاية الارب، ج ١٨، ص ١٦٦.

(٤) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج ١، ص ١٢١.

وأجلى بني النضير إلى أذرعات [1] وصار هؤلاء يؤلبون العرب على المسلمين ويحضونهم على غزو المدينة، وضرب بعض اليهود مثل كعب بن الأشرف وسلام بن أبي الحقيق تاجر أهل الشام ونزيل خيبر [2] ، بسهم وافر في التأليب على المسلمين، ثم تآمر بنو قريظة في غزوة الخندق مع قريش وخانوا المسلمين في عقر دارهم فحكم عليهم بالقتل، فلابد أن ذلك كله جعل اليهود أكثر عداوة للمسلمين وكيداً وإثارة للدعاية المغرضة بحقهم وقد تكون دعايتهم لاقت قبولاً أول الأمر في التنفير من المسلمين وبث الكره لهم فيقال أن عدياً بن حاتم الطائي سيد طيء ــ وهم مع يهود خيبر وفدك وتيماء في جوار ــ كان شديد الكراهية للرسول وكان نصرانياً فلما بلغه خبر قدوم جيش المسلمين لهدم صنم طيء أعد الرواحل ولحق بالشام [3] . ويقال أن بعض بني الضبيب من جذام جاءوا رفاعة الجذامي وقالوا له [4] : «إنك لجالس تحلب المعزى ونساء جذام أسارى قد غرها كتابك الذي جئت به» يلقون اللوم على رفاعة الذي ركن إلى كتاب الرسول لهم وكان عليه، بحسب ظنهم، ألا يفعل.

ولا ريب أن اليهود كانوا لا يألون جهداً في التشهير بالمسلمين ما بين الجزيرة العربية وبلاد الشام حيث منازل اخوانهم هناك.

ومن جهة ثانية كانت القبائل في هذه المنطقة ترتبط مصلحياً ببلاد الشام فمنها القبائل التي كان امراؤها عمالاً لبيزنطية مثل فروة بن عمرو الجذامي في معان وما حولها ومنها القبائل التي كانت تنتشر ما بين شمال الجزيرة العربية والشام مثل قضاعة وبطونها من سليم وبلي وكلب وعذرة وبهراء وكان بعضها

(١) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٤٧٩ ــ ٤٨١.

(٢) أبو جعفر الطبري: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٥٠ ــ ٥٥٣.

(٣) الديار بكري: الخميس في أحوال النفس النفيس، ص ٣٨٠ مخطوط.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٢٥؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٢٢.

يتلقى مساعدات مالية سنوية من بيزنطيه وكانت النصرانية دين بيزنطه صاحبة السلطان في الشام انتشرت بشكل محدود بين بعض أفراد هذه القبائل الوثنية. لذلك قد يعني التحول إلى الاسلام في نظر هذه القبائل ونصاراها، الحاق الضرر بمصالحها من جانب بيزنطه بشكل مباشر وغير مباشر، وهو أمر تراه فوق طاقتها ولم تكن أعدّت بعد لتحمّل مثل هذه التبعة، ولا ترى لدى الطرف الآخر وهم المسلمون عوضاً عنه ويبدو أن هذا ما أشار الرسول إليه عندما خاطب عدي بن حاتم الطائي قائلاً: لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول هذا الدين ما ترى من حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه (1).

كذلك فإن بيزنطه، قد لا تنظر بعين الارتياح لهذا التحول خلافاً للفرس الذين كانوا لا يدينون بالنصرانية ولا يعنيهم تحول نصارى العرب إلى الاسلام إلا بالقدر الذي يؤدي هذا التحول إلى طمع العرب بهم والوثوب عليهم.

لذلك وقفت القبائل العربية في هذه المنطقة من حركة الفتح الاسلامي أول الأمر موقفاً معادياً ووقف بعضها إلى جانب الروم في معركة مؤتة ضد المسلمين.

أما البعد الآخر فهو أن المنطقة كانت تمثل الطريق التجاري بين الحجاز والشام وظلت كذلك في عهد الرسول وقد أصيبت قريش بخسارة كبيرة عندما منعت من المرور فيها على يد المسلمين (2) فحرص الرسول على ضمان الأمن فيها وحسن سير التبادل التجاري بقصد تحقيق المنفعة المادية للمسلمين ونشر الدعوة الاسلامية على يد التجار، وقد قاد الجيش بنفسه إلى دومة الجندل (3)

---

(1) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٢٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٩٥.

(2) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٦٤٦.

(3) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٦٤.

للضرب على يد العابثين بأمن المنطقة وسلامة المارة من التجار وأرسل زيد بن حارثة مرة إلى أم قرفه بناحية وادي القرى ومرة ثانية إلى حسمي وراء وادي القرى للغرض نفسه (١) .

وبالمقابل فإن بعض الجهات مثل النصارى، حسبما ذكر الدياربكري (٢) ، استغلت هذه الميزة التجارية للمنطقة فكانت تلقي الشائعات حول قيام بيزنطة بالحشد لغزو المدينة وتجعل ذلك في آذان النبط الذين كانوا يفدون بتجارتهم إلى المدينة ويبدو أنها كانت تفعل ذلك لالقاء الخوف في نفوس القبائل على طول الطريق إلى المدينة وصدها عن الاسلام وعرقلة انتشاره بينها.

بدأت الملاينة تظهر تدريجياً على موقف القبائل في المنطقة من حركة الفتح الاسلامي، بعد أن أخذت تلمس تصاعد قوة المسلمين وبخاصة بعد عام الفتح وتبلغها الأخبار عن أغراض الاسلام وأحوال أهله في الوقت الذي كانت قبضة بيزنطة في المنطقة متراخية ويعتري الضعف علاقة هذه القبائل مع بيزنطة وبخاصة بعد الغزو الفارسي للشام.

فيقال أن أخت عدي بن حاتم جاءت أخاها في الشام ولامته على أن لا يكون جاء الرسول في المدينة فيجد عنده ما يحب من العافية والاكرام وقد لاقت من الرسول مثل ذلك، فأطاعها وجاء وافداً إلى المدينة فأكرمه الرسول وأحسن وفادته وأسلم عدي وأسلم قومه وولاه الرسول صدقات قومه وانقلب بغضه للرسول وكراهيته للاسلام حباً وإيماناً (٣) . وقيل أن قومه أرادوا أيام

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ص ١٨٢؛ مخطوط رقم ٥٩٧، عاشر أفندي، استانبول؛ الديار بكري: الخميس في أحوال النفس النفيس، ص ٣٧٧ ــ ٣٨٨ مخطوط.

(٢) الديار بكري: الخميس في أحوال النفس النفيس، ص ٤٨٤؛ وانظر تهذيب تاريخ ابن عساكر: ج ١، ص ١١٠.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٢٥ ــ ٢٢٨، ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٢١ ــ ٣٢٢؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٣، ص ٣٩٩؛ النويري: نهاية الارب، ج ١٨، ص ٧٨ ــ ٧٩.

الردة أن يستأثروا بزكاة أموالهم ويمنعوها غيرهم تأسياً بما فعل بعض الناس فذكرهم عدي العهد والميثاق وقال لهم: «والذي نفس عدي بيده لا أخيس بها أبداً ولو كنت جعلتها لرجلٍ من الزنج لوفيت بها فإن أبيتم قاتلتكم». فلما رأوا الجد منه انقادوا له ودفعوا زكاة أموالهم فسار عدي بها إلى أبي بكره [1].

وفي رجب من السنة التاسعة للهجرة سار المسلمون إلى تبوك ولم يقع قتال وأخذوا أكيدر بن عبدالملك صاحب دومة الجندل وكان أكيدر عربياً يقال من غسان أو من كندة وكان نصرانياً فصالح على الجزية [2] وحقن الرسول دمه وخلى سبيله فرجع إلى قريته أما ابن هشام الكلبي فيروى أن أكيدر بن عبدالملك أعلن إسلامه[3].

وصالح الرسول يوحنا بن رؤ به صاحب أيله، وكان يوحنا نصرانياً وكتب الرسول له عهداً شرط فيه عليه أن يقدم التسهيلات للمسلمين [4]. ويقول ميرسون بصدد هذه المعاهدة أنها فتحت الباب الخلفي لفلسطين وسيناء أمام المسلمين [5].

---

(١) الكلاعي: الاكتفاء في السير، ص ٨٢، مخطوط.

(٢) الشافعي: الأم، ج ٤، ص ١٩٢؛ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٩٢؛ ابن هشام: السيرةالنبوية، ج ٤، ص ١٦٩؛ أبوجعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ١٠٨؛ النويري: نهاية الارب، ج ١٧، ص ٣٥٢ ـ ٣٥٧.

— A.L. Tibawi. Article, Christians under Muhammad & his First two Caliphs, 1961, p.33.

(٣) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٩٧٣.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٥٩؛ ابن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٦٨؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٧٩ ـ ٨٠؛ ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق، ج ١، ص ١١٥.

(٥) — Mayerson: Article: The First Muslim Attact on Southern Palestine, p.173.

وجاء وفد كلب فكتب لهم الرسول كتاباً، لهم ولأهل دومة الجندل وما يليها من طوائف كلب[1] .

وجاء وفد من غسان ثلاثة نفر أسلموا وعادوا إلى قومهم في الشام[2] .

وبعث فروة بن عمرو بن النافرة الجذامي عامل الروم على العرب في منطقة معان بإسلامه وأرسل هدية للرسول فلما بلغ الروم إسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه وأرادوه على الرجوع عن الاسلام فأبى فضربوا عنقه[3] .

وبلغ تحول الموقف في المنطقة لصالح المسلمين مداه في معركة الفتح الاسلامي أيام أبي بكر، إذ أن ما بين الحجاز والعربه صار بيد المسلمين بغير حرب ولا قتال[4] .

وخلاصة القول أن قضية نصارى العرب في شبه الجزيرة العربية في عهد الرسول جاءت متشابكة مع موضوع القبائل العربية وموقفها من الفتح الاسلامي بشكل عام والواقع أن المصادر التاريخية المعلومة لا تجعل الباحث يحس بوجود قوة عربية نصرانية في شبه الجزيرة العربية سواء في المنطقة المتاخمة للفرس أم في المنطقة المتاخمة لبيزنطه وإنما يجد النصرانية ممثلة في الغالب بأفراد مبثوثين في قبائلهم يعتنقون النصرانية ولا سبيل لهم أو تأثير على توجيه الأحداث في مجتمعاتهم. وكان موقفهم من الاسلام منسجمًا في الغالب مع موقف القبائل

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٣٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٣٨. النويري: نهاية الأرب، ج ١٨، ص ٩٨.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٣٧ ــ ٢٣٨. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٥٥. ابن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٧٩؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج ٢، ص ٣٤٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج ١٨، ص ٢٩؛ ابن الطلاع: أقضية رسول الله، ص ٢٧٤.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١١٧ ــ دار الكتب العلمية.

العربية وفدوا .معهم إذ وفدوا وأسلموا إذ أسلموا [1] ومن لم يسلم منهم وهم قليل جداً أعتقد لنفسه الذمة ودخل في صلح مع الرسول واستظل براية الاسلام وما كانوا عقبة في طريق انتشار الاسلام وامتداد فتوحاته.

ثم توفي الرسول، ولا شك أن وفاته تركت في حياة المسلمين فراغاً لم يكن لأحد أن يملأه، وقد اجتمعت فيه وحدة المسلمين ممثلة بوحدة الولاء للفكر والولاء لصاحب الأمر ولكن مفهوم الوحدة لم يكن واضحاً عند بعض المسلمين الذين لم يروها تكون إلاّ للرسول [2] ، وكان مفهوم الوحدة متعثراً عندهم بين الولاء للفكر وبين الولاء لولي الأمر من بعد الرسول وكان المال ــ الزكاة ــ من أبرز القضايا التي امتحن فيها مفهوم الوحدة عند هؤلاء [3] ، واتخذ بعداً سياسياً ثم أعطاه الرواة بعد ذلك بعداً دينياً، ولا ريب أن القبائل العربية كانت تأخذ: فكانت تأخذ بغزو بعضها بعضاً وتأخذ بغزوها بلاد فارس وتأخذ بغزوها بيزنطة وتأخذ من بيزنطة وفارس إما لتقعد عن غزوهما أو لتقدم خدمة لهما. وأخذت وفود القبائل العربية المال من رسول الله عندما جاءت إلى المدينة، هدية منه إليها، ولكن الرسول لم يرتب لها إعانة مالية سنوية، بل صارت تدفع نصيباً من مالها بحكم إسلامها وكان ولاؤها وطاعتها بحكم بيعتها للرسول، فلما مات الرسول أنكر هؤلاء أن يكون أبوبكر خلفاً للرسول يقوم مقامه، وتقاصرت خطى الولاء عندهم حتى كانت عند حدود مضاربهم وظنوا هذا الفهم ديناً يلتزم به فسلوا السيوف للدفاع عنه ووقعت البلبلة وضعف سلطان الدولة عن أخذ الناس بالنظام ومطالبتهم بالعهود والمواثيق، الأمر الذي يدعو إلى معرفة موقف الذين ظلوا على نصرانيتهم من العرب في هذا الظرف.

---

(١) — Richard Bell-The Origin of Islam P.182.

(٢) أنظر الأزدي: فتوح الشام، ص ٢ مخطوط رقم ٣٣٢٦ أيا صوفيا استانبول.

(٣) أنظر أبي جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٥٩.

ونبدأ أولاً بنصارى نجران الذين كانوا يساكنون المسلمين في الجزيرة العربية وبالرغم من تطاير الأخبار من اليمن عن الاضطرابات التي قادها عبهله بن كعب من نجران بمساندة مذحج قبل وفاة الرسول [١] فلا يؤثر على نصارى نجران أنهم قاموا بدور مذكور في هذه الاضطرابات أو أنهم اشتركوا فيها، وظلوا في مساكنهم بنجران في أثناء خلافة أبي بكر وشطرا من خلافة عمر بن الخطاب[٢] ، ثم أمر عمر بإخراجهم إلى العراق والشام.

اختلفت الأخبار في سبب إخراج نصارى نجران: فذكر ابن سعد في طبقاته وأبو داود في سننه أنه كان اشترط عليهم في عهدهم أن لا يأكلوا الربا ولكنهم فعلوا ذلك وأصابوا ربا في عهد عمر فأخرجهم [٣] .

أما النويري فقد ذكر أن نصارى نجران أقاموا على ما كتب لهم به رسول الله حتى قبضه الله تعالى ثم ولي أبو بكر فكتب بالوصاة بهم عند وفاته ثم أصابوا ربا في عهد عمر فأخرجهم[٤].

وقيل أن عمر بن الخطاب استجاز إخراجهم وهم أهل صلح لحديث يروي عن النبي فيهم خاصة يقضي بإخراجهم [٥] .

ذكر عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه حديثاً مرسلاً عن معمر عن الزهري عن ابن المسيب أن الرسول عليه السلام قال: «لا يجتمع بأرض العرب أو قال

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، المجلد الثاني، ص ١٧٤، مخطوط رقم ٣٠٠٥ أيا صوفيا، استانبول.

(٢) النيسابوري: مغازي النبي، ص ٣٢٦، مخطوط.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٥٨؛ أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب الجزية.

(٤) النويري: نهاية الارب، ج ١٨، ص ١٣٧.

(٥) أبو عبيدالقاسم بن سلام: الأموال، ص ١٤٤.

بأرض الحجاز دينان». ففحص عن ذلك عمر حتى وجد عليه الثبت، قال الزهري فلذلك أجلاهم عمر[1]. وجاء في صحيح مسلم أن جابر بن عبد الله قال أخبرني عمر بن الخطاب أنه سمع من رسول الله يقول: «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلاّ مسلماً»[2].

والأحاديث المنسوبة إلى الرسول عليه السلام، لا تذكر سبباً لإخراج نصارى نجران سوى عزم الرسول على جعل الإسلام الدين الواحد في أرض العرب أو الحجاز أما أبو عبيد فيرى أن الرسول قال ذلك لنكث كان من نصارى نجران أو لأمر أحدثوه بعد الصلح[3]. ولا مانع من أن يكون ما رآه أبو عبيد هو الذي كان حدث ودفع الرسول إلى قرار ترحيل أهل الأديان الأخرى من الجزيرة ولكنه لم ينفذ ما عزم عليه لأن الأجل لم يسعفه[4]. كما أن المشكلات التي واجهت أبابكر حالت دون تنفيذ ذلك أيضاً ولا مانع أن تكون بعض المخالفات مثل أكل الربا قد وقعت من نصارى نجران ثانية في عهد عمر فظن من قال أن عمر أخرجهم لتعاطيهم الربا، إن ذلك سبب إخراجهم.

أما ما ذكر أبو عبيد عن إسلام نصارى نجران وارتدادهم وكتابة عمر إليهم في ذلك وإجلائهم[5]. فإن كان حدث أنهم أسلموا فيبدو أنهم تظاهروا بذلك عندما بلغهم أن النية متجهة إلى إخراجهم ثم لم يسلموا. مع العلم أن بعضهم كان أسلم وثبت على إسلامه ولم يجر ترحيله. إذ ليس الجلاء حكم من أسلم ثم ارتد كما هو معلوم.

---

(١) عبد الرزاق الصنعاني: المصنف، ج ٦، كتاب أهل الكتاب.
(٢) مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، باب إجلاء اليهود من الحجاز.
(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال، ص ١٤٤ ـ ١٤٥.
(٤) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢١.
(٥) أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال، ص ١٤٥.

اشترى عمر عقارات نصارى نجران وأموالهم وضرب لهم أجلاً للخروج وكتب فيهم إلى الولاة في العراق والشام بالتوسعة عليهم من حرث الأرض [(١)] وما اعتملوه من ذلك فهو صدقة لهم وبديلاً عن أرضهم وأمر بنصرتهم على من ظلمهم ووضع الجزية عنهم أربعة وعشرين شهراً [(٢)] .

تحرى خلفاء المسلمين من بعد النصفة لنصارى نجران والبر بهم فجاء أن عثمان بن عفان وضع عنهم مائتي حلة من جزيتهم لوجه الله وعقبى لهم من أرضهم، وأن معاوية بن أبي سفيان وضع عنهم مائتي حلة أخرى لإسلام بعضهم، ويبدو أنهم لم يكونوا دون غيرهم من العرب بالعراق في السعي بما يجري حولهم من الأحداث فاتهمهم الحجاج بن يوسف الثقفي بالاشتراك مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في ثورته على الحجاج وعلى بني أمية فألزمهم الحجاج بدفع ما كانوا يؤدونه من الجزية كاملاً، فلما تولى عمر بن عبد العزيز أمر الخلافة، شكى نصارى نجران إليه ظلم الحجاج لهم ونقص عددهم فأمر بإحصائهم فوجدهم على العشر من عدتهم الأولى فألزمهم بمائتي حلة [(٣)] .

أما في شرق الجزيرة العربية فقيل أن القبائل العربية انقسمت على نفسها بين موال للدولة في المدينة وبين خارج عليها ولا دور مذكور للنصرانية في هذه الحركة، إلَّا ما كان من أمر سجاج بنت الحارث التي يقال أنها من بني تميم [(٤)] ، وأنها كانت راسخة في النصرانية [(٥)] ، وأقبلت في جمع من عرب

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٨٥ ـ ٨٩، دار الكتب العلمية.

(٢) النويري: نهاية الارب، ج ١٨، ص ١٣٧.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٨٩ ـ ٩١، دار الكتب العلمية؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٠١.

(٤) الأشرف عمر بن يوسف: طرفة الأصحاب في تمييز الأنساب، ص ٦٣.

(٥) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٧٢.

الجزيرة في شمال العراق نحو بني تميم لتغزو بالجميع أبا بكر مما يوحي لأول وهلة بحركة عربية نصرانية معادية للدولة الاسلامية. إلاَّ أن الأخبار المتعلقة بسجاح لا تعضد ذلك. فقد ذكر البلاذري[1] أنها تكهنت واتبعها قوم من بني تميم وقوم من أخوالها من بني تغلب.

وتزوجت مسيلمة وجعلت دينها ودينه واحداً، وروى أبوجعفر الطبري[2] أنها تنبّت واستجاب لها الهذيل بن عمران في بني تغلب وترك التنصر.

وأورد النويري[3] أنها لما تزوجت مسيلمة سألها قومها عن صداقها فرجعت إلى مسيلمة تطلب صداقها فسألها عن مؤذنها فجيء به فقال له: ناد في أصحابك أن مسيلمة رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد: صلاة الفجر وصلاة العشاء.

لذلك فمن الأرجح أن حركة سجاح لم تكن نصرانية وقد يكون اجتذبها النزاع القبلي الذي ثار بين القبائل العربية في شرق الجزيرة العربية بعد وفاة الرسول وقد تكون مدفوعة من جانب الفرس أو الروم للعمل ضد المسلمين. وانسحبت سجاح تاركة مسيلمة، راجعة إلى بني تغلب وقيل أنها أسلمت بعد ذلك وحسن إسلامها[4].

أما في المنطقة الشمالية من شبه الجزيرة العربية فقيل أن وديعة الكلبي أعلن الردة فيمن آزره من كلب ومنع الزكاة[5]، ويبدو أن أكيدر بن

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٠٨، دار الكتب العلمية.

(٢) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٦٩.

(٣) النويري: نهاية الارب، ج ١٩، ص ٧٩.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٠٨، دار الكتب العلمية.

(٥) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٤٠٣.

عبد الملك صاحب دومة الجندل تشجع بفعلة أخواله الكلبيين [1] ومنع الجزية ونقض العهد وخرج من دومة الجندل فلحق بالحيرة [2] أو ارتد عن الإسلام على نحو ما روى ابن هشام الكلبي [3] . ثم انضم إلى الجمع الذين وقفوا يحاربون عياض بن غنم وخالد بن الوليد من كلب وبهراء والضجاعم وطوائف من غسان وتنوخ وهزم الجميع وقتل أكيدر بن عبد الملك [4] . أما يوحنا بن رؤبة الذي لا يذكر أنه كان عربياً، فظل على الوفاء للعهد الذي عاهد عليه.

* * *

عندما قضى أبوبكر على حركة الردة وأطاعت له العرب، نادى بالقبائل العربية إلى الجهاد فصارت تأتيه من أنحاء الجزيرة فكان يوجه بها إلى الشام والعراق. اتخذ المسلمون طريقهم في خروجهم إلى الشام عبر المنطقة الشرقية من بلاد الشام وهي المنطقة التي كانت تنتشر القبائل العربية فيها، باستثناء عمرو ابن العاص الذي نفذ من ايله إلى جنوب فلسطين.

وقد تناولت الروايات العربية خروج المسلمين إلى بلاد الشام والمقاومة التي كانوا يلاقونها من جانب أصحاب السلطان في بلاد الشام وأتباعهم من أهل المنطقة منذ بداية الفتح الإسلامي وحتى استكمال فتح بلاد الشام.

فذكر ابن إسحاق (٧٥ هـ ـ ١٥٢ هـ)، (٦٨٨ م ـ ٧٦١ م) أن عمرو بن العاص خرج بالمسلمين حتى نزل بغمر العربات وكتب إلى أبي بكر يذكر له أمر الروم ويستنجده في حين كان أبو عبيدة وشرحبيل ويزيد بن أبي سفيان يحاصرون

---

(١) البقاعي: أخبار الجلاد في فتح البلاد، ص ٤١، مخطوط رقم ١٩٩٤ لاله لي، استانبول.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٧٣، دار الكتب العلمية.

(٣) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق، ص ٠٩٧ ج ٣.

(٤) أبو جعفر الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٧٨.

بالمسلمين بصرى من بلاد الشام[1] ، ولم يذكر أبو جعفر الطبري في روايته عن ابن إسحاق شيئاً عما إذا كان المسلمون في خروجهم إلى الشام وحتى وصولهم إلى بصرى قد لاقوا مقاومة أو لم يلاقوا.

أما عمر بن شبه (١٧٣ هـ ــ ٢٦٢ هـ)، ٧٨٨ م ــ ٨٧٥ م) فروى عن علي بن محمد المدائني (١٣٥ هـ ــ ٢٢٥ هـ)، (٧٥٢ م ــ ٨٣٩ م)، أن المسلمين بقيادة أبي عبيدة اشتبكوا مع أهل مآب ثم وقع الصلح، وأن يزيد بن أبي سفيان بعث أبا أمامة الباهلي إلى جمع الروم في العربة من أرض فلسطين ففضه[2] ، ورواية عمر بن شبة تفيد أن المقاومة من جانب أهل مآب لحركة الفتح الإسلامي كانت يسيرة سرعان ما انتهت بالصلح إلاَّ أنها لا تذكر هوية الذين اشتركوا فيها.

أما محمد بن عمر الواقدي (١٣٠ هـ ــ ٢٠٧ هـ)، (٧٤٨ م ــ ٨٢٣ م)، فذكر وقوع قتال بين المسلمين بقيادة يزيد بن أبي سفيان وبين الروم في أطراف تبوك[3] وذكر وقوع قتال آخر بين المسلمين بقيادة عمرو بن العاص وبين الروم في فلسطين[4] .

وجاء عند الأزدي أن المسلمين بقيادة أبي عبيدة وصلوا مآب فخرج إليهم الروم فقاتلوهم ثم جرى الصلح[5] .

أما سيف بن عمر التميمي (ت ١٨٠ هـ)، فذكر أنه لما بلغ الروم عظم عسكر خالد بن سعيد بن العاص ضربوا على العرب الضاحية البعوث وأن بهراء وكلب وسليح وتنوخ ولخم وجذام وغسان قد نفرت مع الروم من دون

---

(١) و (٢) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٠٥ ــ ٤١٧؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ١١٧، دار الكتب العلمية.
(٣) و (٤) الواقدي: فتوح الشام، مخطوط، ص ٤ ــ ١٥.
(٥) الأزدي: فتوح الشام، مخطوط ص ١١.

زيزاء بثلاث، وهذه القبائل كانت قد دخلتها النصرانية، ثم عاد سيف فذكر أن هذه القبائل تفرقت عند دنو خالد بن سعيد منها، ودخل عامة من كان تجمع منها ضد المسلمين في الإسلام [1] .

وفيما يتعلق بالمقاومة التي أبدتها هذه المنطقة لحركة الفتح الإسلامي فهي مقاومة يسيرة جداً على ما ذكر الأزدي وعمر بن شبة دون بيان هوية الذين قاوموا وأما ابن إسحاق فلم يذكر شيئاً عن ذلك، بينما ذكر الواقدي أن الذين قاوموا في أطراف تبوك وعربة هم الروم في حين ذكر سيف أن القبائل العربية في تلك المنطقة وقفت إلى جانب الروم ويبدو بعض التشابه بين رواية سيف وبين الأخبار التي تحدثت عن المقاومة التي لقيها المسلمون في معركة مؤتة [2] ، مما يدعو إلى الظن برواية سيف واعتبارها فيما يتعلق بموقف القبائل العربية المذكورة في تلك المنطقة من حركة الفتح الإسلامي تعيد موقفاً سابقاً لهذه القبائل أكثر مما تصف الموقف الجديد لها، فالقبائل العربية التي ذكرها سيف في روايته هي القبائل نفسها التي قيل أنها وقفت إلى جانب الروم في معركة مؤتة ضد المسلمين [3] .
وإضافة إلى هذا، فإن رواية سيف ذكرت أن عامة هذه القبائل ممن تجمع ضد المسلمين دخل في الإسلام، وهو قول لا يبدو مقبولاً إذ لا يعقل تجمع هذه القبائل لحرب المسلمين وتحولها بهذه السرعة إلى الإسلام، وقد يكون أقرب من ذلك أن الإسلام كان قد انتشر بين هذه القبائل من قبل وأن هذه القبائل لما رأت جيوش المسلمين بين ظهرانيها ازدادت جرأة وأعلنت انضمامها إلى جيش الفتح الإسلامي.

---

(١) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٨٨ ــ ٣٨٩.
(٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٧؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٦ ــ ١٧.
(٣) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص ٨٦؛ الواقدي: المغازي، ص ٤٠١؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر: ج ٢، ص ١٥٣ ــ ١٥٧؛ النويري: نهاية الارب، ج ١٧، ص ٢٧٧ ــ ٢٨٢.

تابع المسلمون سيرهم بعد مآب شمالاً نحو الجابية (١) ، وقد شهدت المنطقة الممتدة حتى دمشق أعنف الحروب بين المسلمين وبيزنطة على أرضها ووقعت أهم المعارك التي لعب بعضها الدور الرئيسي في تقرير مصير بلاد الشام. ومع أن الرواة يختلفون في الترتيب الزمني لوقوع هذه المعارك (٢) ، فإن حديثهم عن معركة اليرموك يدل على أنها أعظم هذه المعارك وأبعدها أثراً في تقرير مصير المنطقة (٣) ، وقد يكون ما جرى قبلها من المعارك غير كافٍ ليفي في روع أهل المنطقة، تفوق المسلمين على بيزنطة، فكانت القيادة الإسلامية تعالج الموقف بعدم التدخل والهجوم على المدن والحصون والاكتفاء بالإغارة على الأطراف والرساتيق (٤) وعقد المعاهدات معهم، وتحرص أن لا يتعرض المسلمون لهزيمة تضيع فيها هيبتهم ويجترأ أهل المنطقة عليهم فلما احتاج المسلمون، إزاء الزحف البيزنطي، إلى التجمع والانكماش عن بعض الجهات

---

(١) الواقدي: فتوح الشام مخطوط ص ١٠؛ الأزدي: فتوح الشام، مخطوط ص ١١؛ البقاعي: أخبار الجلاد في فتح البلاد مخطوط، ص ٥٦.

(٢) فعلى سبيل المثال، يذكر سيف بن عمران معركة اليرموك كانت سنة ١٣ هـ، تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٤١. ويذكرها عمر بن شبه في سنة ١٣ هـ، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤١٩. ويذكرها ابن إسحاق في سنة ١٥ هـ، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٥٧٠ ــ ٥٧١. ويذكرها ابن حبيش في سنة ١٣ هـ؛ البقاعي: أخبار الجلاد، ص ٨٨ مخطوط.

وقد يكون أرجحها أنها وقعت في سنة ١٣ هـ، إذ ورد أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي عبيدة بصرف أصحاب خالد من أهل العراق إلى سعد بن أبي وقاص في العراق فعادوا بقيادة هاشم بن عقبة بن أبي وقاص وشهدوا القادسية. تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٥٤٢ ــ ٥٤٣، وكانت القادسية وقعت في بداية السنة الرابعة عشرة للهجرة، تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٥٣٨. فتكون معركة اليرموك قد حدثت قبل ذلك الزمن أي في سنة ١٣ هـ.

(٣) أنظر: أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٢٦.

(٤) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٠٨؛ الأزدي: فتوح الشام، ص ٣٥ مخطوط.

التي وصلوا إليها، استعداداً لمعركة اليرموك، أخذ أهل الصلح ينقضون العهود وينتظرون لمن تكون الغلبة [١] وكانت بيزنطة في الوقت نفسه لا تفتأ عن استغلال علاقاتها مع سكان المنطقة في حربها مع المسلمين وتبذل المال لتجنيد الناس ضدهم [٢] .

كان العرب من أهل هذه المنطقة وفي مقدمتهم الغساسنة مستهدفين من الجانبين. ويصنفهم الأزدي في كتابه «فتوح الشام» استناداً إلى قول أحد من أسلم من البيزنطيين ويدعى جرجه، أصنافاً ثلاثة: صنف على دين العرب كانوا مع العرب، وصنف نصارى ولهم نية في النصرانية كانوا مع البيزنطيين ضد المسلمين، وصنف نصارى ليس لهم نية في النصرانية كرهوا قتال أهل دينهم من البيزنطيين وكرهوا قتال قومهم من العرب [٣] . ويتضمن هذا القول، إضافة إلى مسألة تصنيف موقف العرب هنا من الفتح الإسلامي، تعليل هذا الموقف وتفسيره من الفتح الإسلامي، وقد يكون د. رستم، أخذ ببعض هذا عندما علل وقوف نصارى العرب إلى جانب الروم ضد المسلمين تعليلاً دينياً واعتبر الحرب حرباً دينية [٤] . في حين عدّها د. الدوري مشروعاً مشتركاً اجتمع فيه توثب العرب واجتماع كلمتهم ووحدة صفوفهم [٥] .

ويبدو أن موقف العرب من الفتح الإسلامي في هذه المنطقة قبل معركة اليرموك كان مأخوذاً بعوامل عدة أهمها حال قوة المسلمين ومركزهم، قبالة قوة

---

(١) الأزدي: فتوح الشام، ص ٥٤ ــ ٥٦، مخطوط؛ البقاعي: أخبار الجلاد في فتح البلاد، ص ٨٨، مخطوط.

(٢) ابن البطريق: التاريخ المجموع على التحقيق، ص ١٣.

(٣) الأزدي: فتوح الشام، ص ٥٦ مخطوط.

(٤) أسد رستم: الروم وصلاتهم بالعرب، ج ١، ص ٢٤٨.

(٥) الدوري: الجذور التاريخية للقومية العربية، ص ١٥ ــ ١٦.

البيزنطيين، وإغراءات بيزنطة المالية وعلاقاتها السياسية مع بعض أمراء العرب من غسان وغيرهم وميل بعضهم إلى بيزنطة طمعاً بعطاياها وإبقاء على سلطانهم ونفوذهم على نحو ما ذكر ابن سيد الناس «من أنهم يحبون بقاء ملكهم وقرب قيصر» [1] وإضافة إلى ذلك، سيرة الجند المسلمين الحسنة وسيرة الجند البيزنطيين السيئة أثناء تعامل الجانبين مع أهل المنطقة. مما جعل موقف هؤلاء العرب من حركة الفتح الإسلامي ليس سواء.

فمن جهة ذكر ابن شبه وابن إسحاق والأزدي والواقدي أن خالد بن الوليد اشتبك مع غسان في جانب مرج راهط ثم صالحهم وانفرد الأزدي بذكر دخولهم في الإسلام. وذكر الأزدي أن نصارى من العرب جاءوا المسلمين فأسلموا. كما أورد أبو جعفر الطبري برواية ابن إسحاق أن كثيراً من عرب الشام وقفوا إلى جانب المسلمين في اليرموك وذكر أسماء قبائلهم.

وبالمقابل وقف آخرون من أفراد القبائل نفسها التي كانت تنزل ما بين مآب ودمشق، إلى جانب بيزنطة ضد المسلمين في معركة اليرموك، ويقدر ابن إسحاق عددهم باثني عشر ألفاً في حين يقدرهم الواقدي بستين ألفاً وهي مبالغة ظاهرة تستمر في أغلب حديث الواقدي في كتابه «فتوح الشام»، عن موقف نصارى العرب في الشام من الفتح الإسلامي، الذي يدور معظمه حول موقف جبلة بن الأيهم ومن معه من المستنصرة ومن لخم وجذام وغسان ويستغرق الحديث عن موقفهم من حيث المكان، المنطقة من أرض اليرموك وحتى الدروب المؤدية إلى داخل أرض بيزنطة شمال إنطاكية، ويستغرق من حيث الزمان المدة الواقعة بين دخول المسلمين بلاد الشام وخروج هرقل منها حتى ينتهي الواقدي إلى القول بأن جبلة وابنه الأيهم وخمسمائة من كبار قومه

---

(١) ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج ٢، ص ٢٥٦ ــ ٢٥٧.

ركبوا في مراكب الملك هرقل وساروا إلى القسطنطينية وهذا يوحي أن نصارى العرب في الشام ظلوا يقاومون الفتح الإسلامي حتى النهاية.

وفيما يتعلق بجبلة فقد أورد ابن سعد في طبقاته بإسناد جمعي أن الرسول عليه السلام كتب إلى جبلة بن الأيهم ملك غسان يدعوه إلى الإسلام فأسلم. أما ابن حبيب فذكر أن الرسول عليه السلام أرسل شجاع بن وهب الأسدي إلى جبلة بن الأيهم ولكنه لا يذكر أنه أسلم.

ويبدو أن القول بإسلام جبلة بن الأيهم في حياة الرسول مشكوك فيه. ومما يرجح عدم إسلامه أن جبلة بن الأيهم كانت له ارتباطات مصلحية مع بيزنطة وأن بلاد الشام، حيث كان ينزل جبلة وقومه لم تكن دخلت بعد في سلطان المسلمين، وأن بعض الأخبار ذكرت أن جبلة انحاز إلى جانب البيزنطيين ضد المسلمين.

فذكر الطبري برواية سيف أن ابن الأيهم ـ دون أن يعين إن كان ابن الأيهم جبلة أو الحارث أو غيرهما ـ كان يحارب في طوائف من غسان وتنوخ ضد المسلمين في دومة الجندل سنة اثنتي عشرة للهجرة وذكر الطبري برواية ابن إسحاق أن جبلة بن الأيهم كان في المستعربة من قبائل الشام إلى جانب البيزنطيين في معركة اليرموك. وورد الخبر نفسه عند اليعقوبي والبلاذري والمقدسي[(١)]. إلاَّ أن مقاومة جبلة بن الأيهم انتهت في الغالب في معركة اليرموك على اختلاف بين الروايات في الوجه الذي انتهى إليه جبلة.

فذكر البلاذري [(٢)] أن جبلة بن الأيهم إنحاز إلى الأنصار أثناء معركة

---

(١) ابن مطهر المقدسي: البدء والتاريخ، ج ٥، ص ١٨٤.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٤١ طبعة دار الكتب العلمية.

اليرموك وقال: أنتم إخوتنا وبنو أبينا وأظهر الإسلام وهذا يدل إن صحت الرواية على روح قبلية في جبلة، وذكر إسلامه ابن قتيبة [١] والمسعودي [٢] .

والذين ذكروا إسلام جبلة قالوا أنه تنصر ولحق بالروم بسبب مشاجرة وقعت بينه وبين رجل مزني ذكرتها الروايات أحياناً في دمشق وأحياناً في مكة وذكرت الذي نظر فيها فقالت أنه كان عمر بن الخطاب ومرة قالت أنه كان أبا عبيدة ومرة ثالثة أن الحكم صدر ضد المزني وقالت مرة أخرى أنه صدر ضد جبلة ولكن جبلة لم يعجبه الحكم ولم يمتثل له أنفة واستخفافاً ولحق بالروم.

ولكن بعض الروايات ذكرت أن جبلة لم يسلم. فروى اليعقوبي [٣] أن يزيد بن أبي سفيان أرسل إلى جبلة يطالبه بأداء الجزية (وكان جبلة صار بعد المعركة إلى موضعه في جماعة قومه) فرفض جبلة وقال: إنما يؤدي الجزية العلوج وأنا رجل من العرب.

ويبدو أن القضية عرضت على عمر بن الخطاب عندما جاء الشام لقول القاسم ابن سلام [٤] برواية سعيد بن عبد العزيز التنوخي [٥] أن عمر بن الخطاب عرض على جبلة أن يختار الإسلام أو الجزية أو أن يلحق بالروم فلحق بالروم.

---

(١) ابن قتيبة: المعارف، ص ٢٨١.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ٣٦٧؛ وانظر: ابن عبد ربه: العقد الفريد، المجلد الثاني، ص ٥٦ ــ ٦٢.

(٣) ابن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٤٢.

(٤) أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال، ص ٤٢ ــ ٤٣؛ وانظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٨٩.

(٥) يعد سعيد بن عبد العزيز التنوخي الدمشقي ثقة مات سنة سبع وستين ومئة؛ أنظر البخاري: التاريخ الكبير، ترجمة سعيد بن عبد العزيز التنوخي.

والقدر المشترك بين هذه الأخبار أن جبلة رفض الامتثال لبعض تطبيقات النظام الجديد إحساساً بفرديته أو إدلالاً بانتمائه العربي بعيداً عن الدين وآثر اللجوء إلى بلد آخر كان هو بيزنطة في ذلك الوقت. على أن هذه الروايات لا تذكر أن جبلة عاد إلى ميدان القتال مع البيزنطيين ضد المسلمين.

وأما القول بأن جبلة لما لحق بالروم سار معه من أياد وقضاعة وغسان ولخم وجذام نحو أربعين ألفاً أو ثلاثين ألفاً [(1)] فهو قول مشكوك فيه فضلاً عن مبالغة في العدد، فقد جاء في رواية سيف بن عمر التميمي [(2)] وفي رواية الكلبي [(3)] أن عمر بن الخطاب كتب إلى ملك الروم يطلب إليه من عنده من العرب مما يشير إلى حرص عمر على جمع العرب إليه فلا يتفق مع هذه السياسة أن يدع عمر عشرات الألوف تمر من تحت يده للانضمام إلى الأعداء، وإضافة إلى ذلك، ذكر سيف بن عمر أن الذين دخلوا أرض بيزنطة كانوا عدداً قليلاً وهم أياد ارتحلوا عند قدوم الوليد بن عقبة إلى الجزيرة أما الكلبي فذكر أن الأياديين كانوا يقيمون هناك قبل الفتح الإسلامي، لذلك فقد يكون من الأرجح أن خروج جبلة كان فردياً.

كان الموقف قد تحول بعد معركة اليرموك لصالح المسلمين، وأخذت الاعتبارات التي كانت تغري بالانضمام إلى البيزنطيين تتضاءل أمام الانتصار الذي حققه المسلمون في اليرموك، وصار العرب من لخم وجذام وغسان وعاملة والقين وغيرها من قضاعة ينضمون إلى المسلمين فكثر عددهم وقوي المسلمون بهم على عدوهم [(4)] .

---

(1) و (2) البكري: معجم ما استعجم، ص ٧١؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٤٢، دار الكتب العلمية؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٤٧.

(3) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٤ ــ ٥٥.

(4) الأزدي: فتوح الشام، ص ٣٦، وص ٤٢ مخطوط؛ البقاعي: أخبار الجلاد في فتح البلاد، ص ٧٨ ــ ص ٨٠ مخطوط.

ويبدو أن العرب في هذه المنطقة اقتنعوا بعزل قضيتهم عن قضية البيزنطيين، والتخلي عنهم والدخول مع المسلمين وقد يفسر هذا توجه عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بالاستعانة بعرب الشام على بيزنطة في معارك الميدان الشمالي من بلاد الشام [1].

استمرت بيزنطة في محاولاتها لإثارة أهل البلاد واستقطابهم ضد المسلمين [2] في هذا الميدان وقيل أنها تمكنت في المعارك التي تجددت في شمال حمص وقنسرين أن تجمع حشداً كبيراً اشترك فيه ثلاثون ألفاً من أهل الجزيرة سوى أمداد قنسرين من تنوخ وغيرهم [3] فحاصروا المسلمين في منطقة حمص وبلغوا منهم كل مبلغ حتى سارعت الإمدادات والنجدات للمسلمين من الشام والعراق، فلما رأى أهل الجزيرة أنهم محصورون بين المسلمين في العراق وبين المسلمين في الشام تركوا الميدان منسحبين إلى مدنهم مجيبين إلى الصلح ودفع الجزية [4].

أما العرب، من تنوخ وغيرهم فكان موقفهم أكثر وضوحاً، فقد أعلنوا أنهم قد حشروا مع البيزنطيين وليس لهم رغبة في قتال المسلمين، وذهبوا أبعد ما يمكن في تعزيز القول، بالفعل بقبولهم التنسيق مع المسلمين وجعل الاختيار إليهم في حسم العلاقة مع البيزنطيين، وقبل الذين كانوا يقفون إلى جانب البيزنطيين أن ينهزموا بهم في المعركة ثم أسلم بعضهم بعد ذلك.

ويبدو أن ألف التدين بالنصرانية مع ملابسات المد والجزر للنفوذ البيزنطي، في منطقة شمال الشام وحرية اعتناق الإسلام أو أداء الجزية ساعد على بقاء التنصر في بعضهم كبني سليح ولكن الإسلام صار يفشوا فيهم وشهد

---

(١) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٦٠١.
(٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٥١ ــ ص ٥٢.
(٣) و (٤) البقاعي: أخبار الجلاد في فتح البلاد، ص ١٩٠، مخطوط.

عهد المهدي بن أبي جعفر المنصور إسلام معظمهم [1] ، أما العرب في حاضر حلب فاختاروا الجزية أول الأمر ثم أسلموا جميعاً [2] .

أما ما يتعلق بموقف نصارى العرب في العراق من حركة الفتح الإسلامي فقد يكون مجرى الأحداث مختلفاً بعض الشيء ومما نلاحظه في العراق أن الدولة صاحبة السلطان فيه، لم تكن تدين بالنصرانية مما لا يجعل لوقوف نصارى العرب إلى جانب الفرس مبرراً دينياً إلاَّ إذا كان نصارى العرب يخافون أن يفقدوا بهزيمة الفرس ما الفرس باسطوه عليهم من حرية العبادة، وإن صح ذلك فهو أمر لا يخشى له جانب المسلمين.

ذكر هشام بن الكلبي وعمر بن شبه وابن إسحاق وسيف الواقدي أن خالد بن الوليد سار إلى العراق في السنة الثانية عشرة للهجرة [3] وكان معه المثنى بن حارثة الشيباني في قومه من بني شيبان من بكر بن وائل. وذكر سيف أن أبا بكر أمر خالد بن الوليد أن يبدأ بالأبلة فرج أهل الهند والسند، ولكن أبا جعفر الطبري ذكر أن رواية سيف خلاف ما يعرفه أهل السير وخلاف ما جاءت به الآثار الصحاح وإنما كان فتح الأبلة سنة ١٤ هـ أيام عمر بن الخطاب [4] ، وهذا يرجح أن المسلمين ساروا في خروجهم إلى العراق عبر المنطقة الواقعة إلى الغرب من الأبلة والفرات في طريق البصرة ــ الكوفة حسب رواية عمر بن شبه [5] ، أو طريق المدينة ــ الكوفة حسب رواية الواقدي [6] ، وهذه المنطقة هي التي كانت تنتشر فيها بعض القبائل العربية وقامت فيها البصرة والكوفة فيما بعد.

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥٠، طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥١، طبعة دار الكتب العلمية؛ النويري: نهاية الارب، ج ١٩، ص ١٦٥؛ البقاعي: أخبار الجلاد في فتح البلاد، ص ١٩٣.

(٣) و(٤) و(٥) و(٦) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٤٣ ــ ٣٥٩.

ويبدو أن المسلمين في هذه المرحلة من فتح العراق جعلوا الحيرة هدفاً يقصدون إليه. وقد تناول الرواة العرب حركة الفتح الإسلامي في هذه المرحلة إلاَّ أن ما أوردوه حول حركة الفتح والمقاومة التي واجهها المسلمون في هذه المرحلة لم يكن سواء فرواية عمر بن شبه والواقدي لا تذكر شيئاً عن المقاومة التي واجهها المسلمون، في حين ذكر ابن إسحاق [1] أن قريات من السواد من دون الحيرة هي بانقيا وباروسما واليس، صالحت المسلمين.

أما رواية هشام بن الكلبي [2] فقد أفادت أن المسلمين لاقوا مقاومة من جانب الفرس قبل وصولهم الحيرة بقيادة جابان ولكنه هزم ثم واجه المسلمون مقاومة أخرى قريباً من الحيرة من جانب مسالح الفرس بقيادة آزاذبه وهزم أيضاً وصارت الطريق مفتوحة إلى الحيرة.

أما رواية سيف، فهي على جانب من التفصيل الذي لا يوجد في الروايات الأخرى فقد ذكر سيف أن المسلمين دخلوا مع الفرس قبل فتح الحيرة خمس وقعات، وفي إحداها وهي وقعة الولجه، حشر الفرس عرب الضاحية [3] ما بين الحيرة وكسكر معهم، وحدث أن قتل من هؤلاء العرب الذين حشرهم الفرس جماعة من بني من بكر بن وائل كانوا نصارى فأثار قتلهم الحس القبلي عند قومهم فغضب لهم قومهم ودفعتهم عصبيتهم إلى الاستنجاد بالفرس ضد المسلمين ولكن الجمع هزم في معركة الّيس وقتل كثير منهم.

والى المسلمون سيرهم نحو الحيرة فوجدوا أهلها قد تحصنوا فيها [4] واختلفت الروايات حول موقف أهل الحيرة بعد ذلك، فذكر هشام بن الكلبي

---

(١) و(٢) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٤٣ ـ ٣٥٩.

(٣) عرب الضاحية: هم العرب المقيمون على حافات البوادي والأرياف، أنظر: جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٢٥.

(٤) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص ١١٢.

أن أشراف أهل الحيرة منهم عمرو بن عبد المسيح ــ ابن بقيلة ــ خرجوا إلى المسلمين فصالحوهم على الجزية وعلى أن يكونوا عيوناً للمسلمين وعوناً لهم على الفرس (١) .

وذكر ابن إسحاق أن أشراف الحيرة خرجوا إلى المسلمين فصالحوهم على الجزية (٢) ، أما سيف، فتحدث عن وقوع قتال بين أهل الحيرة وبين المسلمين وأن خالد بن الوليد ذكّرهم بالعربية التي ينتمون إليها، وبالعدل الذي جاء المسلمون به إليهم فراجعوا أنفسهم ونزلوا على الصلح (٣) . وقد يكون أهل الحيرة استثقلوا الجزية فقيل أنهم استخفوا بعد موت أبي بكر بمعاهدة الصلح، فلما افتتح المثنى الحيرة كتب لهم كتاباً، وعندما غلب المثنى أعانوا الفرس على المسملين وأضاعوا الكتاب (٤) ، فلما افتتح سعد بن أبي وقاص البلاد كتب لأهل الحيرة كتاباً جديداً تحرّى فيه ما يطيقون (٥) .

أما موقف العرب في الأنبار فكان مربكاً للحامية الفارسية فيها واضطر الحاكم الفارسي في الأنبار إلى طلب الصلح من المسلمين وقبول الجلاء (٦) .

ويبدو أن الحس القبلي كان بين العرب في البوادي والأرياف أكثر وضوحاً منه في المدن في موقفهم من حركة الفتح الإسلامي، وقد يكون من العوامل التي حركت العصبية القبلية عند هؤلاء القوم قتل بعض العرب الذين وقفوا إلى جانب الفرس على يد المسلمين إضافة إلى وجود بني شيبان في صف المسلمين

---

(١) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٤٥؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٣٩.

(٢) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٤٤.

(٣) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٦١.

(٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٤٣.

(٥) و (٦) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٦٤، ٣٨٥.

وقيامهم بحركة الفتح الإسلامي، سيما وأن بني شيبان كانوا طرفاً في الحروب القبلية التي دارت في المنطقة ما بين الجزيرة العربية والعراق مثل حرب البسوس وذي قار.

وظهرت العصبية القبلية واضحة في معركة عين النمر بوقوف عقة بن أبي عقة ضد المسلمين في جمع عظيم من العرب كان منهم نصارى[1] من النمر وتغلب وأياد خصوم بني شيبان[2] ولكنهم هزموا وأخذ عقة وضربت عنقه فغضب له قومه من عرب الجزيرة وكاتبوا الأعاجم، فتعقبهم المسلمون في المصيخ والثني والبشر والحصيد والخنافس وامتدت الحرب إلى تخوم الشام والعراق والجزيرة واشتركت مسالح البيزنطيين على الحدود في المعركة ضد المسلمين.

ويبدو أن المسلمين في هذه المرحلة لم يوفقوا تماماً في ضم العرب إلى جانبهم في معركتهم مع الفرس.

وقد يكون موقف العرب في العراق من حركة الفتح الاسلامي في هذه المرحلة مأخوذاً بمفهوم الغزو عندهم، الذي ربما شجعه الفرس والبيزنطيون مكيدة بالمسلمين إضافة إلى اشتراك القبائل العربية التي كانت تنزل في أطراف شبه الجزيرة العربية المجاورة للعراق، بالفتح وهي من كان لها ماض في الغزو والحروب القبلية. وقد تعزز الحرب التي جرت بين المسلمين وبين العرب من النمر وتغلب في صفين، هذا القول ولعل صورتها في نفوس بعضهم بعثت من

---

(١) أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان مادة بشر؛ البلاذري: فتح البلدان ص ٢٤٩، دار الكتب العلمية.

(٢) أنظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٣، ص ١٣٣؛ أبو تمام: نقائض جرير والأخطل، ص ٢٢٧؛ البكري: معجم ما استعجم، ص ٧١، ٨٥ ــ ٨٦؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، المجلد الثاني، ص ٢١٦ ــ ٢٢٠.

محفوظات الذاكرة المثل «تغريق بتحريق» على لسان بعض المسلمين [١] وبالرغم من قبول براءة قائلة من علاقته بأهل الجاهلية فليست براءة لتصور الطرف الثاني بخاصة من شائبة مفهوم الغزو في موقفهم من المسلمين.

إضافة إلى ذلك فإن المسلمين لم يكونوا قد ألقوا ثقلهم في معركة العراق بعد، لانشغالهم في ميدان الشام [٢] ، الأمر الذي ربما جعل عرب العراق بنصاراهم لا يقدرون الحجم الحقيقي للمهمة التي يضطلع المسلمون بها والقوة التي تقف وراءها قبالة قوة الفرس العظيمة بنظرهم [٣] ، فجعلوا يمضون في تقدير موقفهم على نحو ما كانوا يفعلون في سابق الزمان ولعب مفهوم الغزو في تقديرهم دوراً كبيراً.

إلا أن هذا المفهوم، إن صح على النظرة العامة للقبيلة فقد لا يصح دوماً على كل فرد من أفرادها سيما إذا وجد أحدهم نفسه خارج مجال نفوذ القبيلة، ومن هذا القبيل، وقف إلى جانب المسلمين في معركة البويب فتية من بني تغلب والنمر كانوا في تجارة خيل لهم وكانوا نصارى باعتبار المسلمين عرباً مثلهم، ضد الفرس باعتبارهم عجماً [٤] ، وقاتل المنذر بن حرملة ـ أبو زبيد الطائي ـ في معركة الجسر مع المسلمين حماية للعرب وكان نصرانياً [٥] .

---

(١) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٧٦.

(٢)
— A.L. Tibawi-Article:
— Christians under Muhammad and his First two Caliphs. Vol.6, P.46, 1961.
— Islamic Quarterly.

(٣) أنظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٥٣، دار الكتب العلمية.

(٤) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٦٤ ـ ٤٦٦؛ النويري: نهاية الارب، ج ١٩، ص ١٨٥ ـ ١٨٦.

(٥) النويري: نهاية الارب، ج ١٩، ص ١٨٤؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٥٢، دار الكتب العلمية.

وبعد أن انتصر المسلمون على البيزنطيين في اليرموك وتحول الموقف في الشام لصالح المسلمين أخذت الدولة الاسلامية توجه اهتماماً أكبر نحو العراق وصارت ترسل الامدادات إلى هناك تباعاً وجعلت سعد بن أبي وقاص قائداً للحرب فيها وكان الفرس زادوا استعدادهم وحشدوا القوات الكثيرة وصاروا يتصلون بالعرب عن طريق أحد أحفاد المنذر بن النعمان (١) يمنونه الملك والسلطان ولكن المحاولة فشلت وقضى عليها في المهد والتقى الطرفان في معركة القادسية ودارت الدائرة على الفرس وانتصر المسلمون.

كانت معركة القادسية انقلاباً في الموقف بالعراق لصالح المسلمين، وكان من شأن القادسية أن العرب كانت توقع الوقعة مع الفرس في القادسية تنظر ما يكون من أمرها حتى إن كان الرجل ليريد الأمر فيقول: لا أنظر فيه حتى أنظر ما يكون من أمر القادسية (٢) .

فلما هزم الفرس وتقهقروا شرق دجلة نحو المدائن ثم حلوان ثم جلولاء، صارت يد المسلمين طليقة ما بين دجلة إلى أرض العرب فأحسنوا إلى الفلاحين فيها وهم أكثر من مائة ألف وراسلهم الدهاقون فدعاهم المسلمون إلى الاسلام أو الجزاء والذمة والمنعة فنزل بعضهم على الجزاء والمنعة وأسلم آخرون (٣) . واغتبطوا جميعاً بملك الاسلام (٤) .

ولا ريب أن الانتصارات في الشام والعراق وخاصة بعد اليرموك والقادسية أعطت المسلمين في هذين البلدين المركز الأول في تقدير أهل البلاد وجعلت للمسلمين اليد العليا فيها فجعلت الدعوة للإسلام تلقي أذناً صاغية وبدأ التحول على موقف العرب من حركة الفتح الاسلامي واضحاً وخاصة في

---

(١) و(٢) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٨٩ ، ٥٨٢.
(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٦٥ ، دار الكتب العلمية.
(٤) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥.

منطقة تخوم العراق والشام وفي الجزيرة. ففي معركة تكريت سنة ١٦ هـ صارت العيون من عرب تغلب واياد والنمر تأتي المسلمين وتنقل إليهم أخبار الأعداء في جانبهم وتظهر مودة العرب الذين في جانب الأعداء لهم وتسأل المسلمين السلم للعرب فامتحنهم المسلمون بعرض الاسلام عليهم فأسلموا ورجعوا إلى قومهم فطابقهم قومهم على الاسلام، ولما كبر المسلمون وجاءوا الأعداء من أممهم كبرت تغلب وأياد والتمر من وراء الأعداء فحسب هؤلاء أن المسلمين أحاطوا بهم فاضطربت صفوفهم وانهزموا (١).

توالت انتصارات المسلمين في الميدان الشمالي من العراق حتى اتصل ميدان العراق بميدان الشام وصار أهل الجزيرة بينهما، فأسلم بعضهم ونزل من لم يسلم على الجزاء والمنعة إلا ما كان من أمر من لم يسلم من نصارى العرب من أياد وتغلب في الجزيرة فإنه كان موضع خلاف ومفاوضات.

أما ما يتعلق بأياد فهناك روايتان:

* الأولى رواية سيف وتذكر أن بني أياد وهم ذو عدد قليل ارتحلوا من الجزيرة واقتحموا أرض بيزنطة عندما جاء جيش المسلمين إلى الجزيرة وأن عمر بن الخطاب كتب فيهم إلى البيزنطيين وطالبهم بإخراجهم وهددهم إن لم يخرجوهم باخراج النصارى الذين في ديار المسلمين فأخرجوهم (٢).

* أما الثانية فهي رواية الكلبي وتنتهي بسندها إلى علي بن وثاب الأيادي الذي يروي بدوره عن أبيه وتقول الرواية أن الأياديين كانوا في بلاد بيزنطة قبل الفتح الاسلامي وأن عمر بن الخطاب أرسل المصاحف إلى ملك الروم ليعرضها

---

(١) أبوجعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٥ ــ ٣٦؛ النويري: نهاية الارب، ج ١٩، ص ٢٣٦ ــ ٢٣٧.

(٢) أبوجعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٥.

عليهم وطلب إلى ملك الروم أن لا يحول دون خروج من يسلم منهم وهدده بقتل النصارى في بلاد المسلمين إن لم يستجب إلى طلبه فأسلم الكثير من أياد وخرج منهم أربعة آلاف مسلم ودخلوا دار الاسلام [١].

ويبدو أن الروايتين تدوران حول حادثة واحدة فهما متفقتان على أن الحادثة جرت في عهد عمر بن الخطاب، وجاءت رواية سيف في أخبار فتح الجزيرة سنة ١٧ هـ، وقيل سنة ١٩ هـ، أما الرواية الثانية فجاءت غفلاً من التاريخ، واشتركت في ذكر بني أياد كمحور للحادثة واتخاذ النصارى الموجودين في دار الاسلام أداة للضغط والتهديد.

وبينما يظهر موقف أياد من الاسلام في رواية سيف ليس مرضياً للمشاعر القبلية التي صارت مواقف الولاء لحركة الفتح الاسلامي أساساً عندها في مفاخر القبيلة وأمجادها نجد الرواية تذكر ما يشير إلى وجود الرغبة ابتداء عند أياد في التحول إلى دار الاسلام وأن بيزنطة كانت تقف حائلاً دون ذلك مما يوحي بوجود اتجاه في الرواية إلى نفي التهمة عن موقف أياد ولا غرابة في ذلك فالرواي الأول أيادي أما رواية سيف فقد تكون متأثرة في قولها، بإعادة أياد بالقوة إلى دار الاسلام، بهوى قبلي قيل بوجوده عند سيف [٢]، ويبدو أن التهديد الوارد في الروايتين ليس بذي بال في هذه الآونة إذ كانت العلاقات الاسلامية البيزنطية عدائية للغاية، إلا أن اهتمام عمر بن الخطاب بالقضية وهو ما تجمع الروايتان عليه يوحي بوجود دافع له وقد يكون الدافع هو ارتحال الأياديين إلى جانب بيزنطة وما قد يترتب على ذلك من مشكلات، ولعل الأياديين فعلوا ذلك احتراساً من القتل بسبب ملابسات الأعمال العسكرية التي خططت لها بيزنطة

---

(١) البكري: معجم ما استعجم، ص ٧٥ ـ ٧٦.

(٢) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج ٣، ص ٣٦؛ الدوري: نشأة علم التاريخ عند العرب، ص ٣٧.

مع أهل الجزيرة ضد المسلمين مع ما عليه الأياديون من قلة في العدد لا تضمن لهم الامتناع، ويمكن أن يكون المسلمون اتصلوا بالأياديين فعرضوا الاسلام عليهم وأمنوهم فعادوا مسلمين، إذ أن الروايتين متفقتان على رجوعهم إلى دار الاسلام، وبينما لا تذكر رواية سيف شيئاً عن فرض جزية عليهم فإن الرواية الثانية تذكر أنهم أسلموا.

أما فيما يتعلق بنصارى بني تغلب فإن المفاوضات أخذت تجري لتسوية علاقتهم بالمسلمين فذكر سيف أن الوليد بن عقبة أبى عليهم إلا الاسلام فكتب عمر بن الخطاب إليه إنما ذلك لجزيرة العرب لا يقبل منهم فيها إلا الاسلام [1].

ويبدو أن الرواية فيما جاءت به عن موقف الوليد من نصارى بني تغلب أو عن جواب عمر إليه، تمزج بين موقف الاسلام من مشركي العرب وبين موقفه من نصارى العرب إذ أنها في حديثها عن موقف الوليد وجواب عمر إليه لا تستقيم مع ما قيل من موقف الرسول من نصارى العرب حتى في جزيرة العرب، إذ أن الرسول لم يجبر نصارى العرب على الاسلام سواء كانوا في جزيرة العرب أم في خارجها، وأن موقفه منهم كان على الدين لا على النسب، إلا أن يكون شك المسلمين في نصرانية عرب بني تغلب حملهم على إخراجهم من دائرة أهل الكتاب.

أما بخصوص الشك فهو حاصل من جهتين هما صدق التدين بالديانة وزمن التدين بها. وفيما يتعلق بصدق التدين روى عمر بن الخطاب أنه قال: ما نصارى العرب بأهل كتاب [2]، وروى عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه أن

---

(١) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٥.
(٢) الشافعي: كتاب الأم، ج ٤، ص ١٩٢.

عليًّا بن أبي طالب كان يكره ذبائح نصارى تغلب ويقول أنهم لا يتمسكون من النصرانية إلا بشرب الخمر[1] ، وروى عن ابن سيرين أنه سأل عبيدة عن ذبائح بني تغلب فقال: لا تأكل ذبائحهم فانهم لم يتمسكوا من نصرانيتهم إلا بشرب الخمر[2] .

أما من جهة زمن التدين بالديانة النصرانية فقد جرى الحديث حول من يعدّ من أهل الكتاب ومن لا يعد منهم فذكروا من كان تدينه قبل مجيء الاسلام ومن كان تدينه بعده ومن كان من بني اسرائيل ومن كان من غيرهم [3] ، إلا أن هذا الشك لم ينته إلى إخراج نصارى بني تغلب من دائرة أهل الكتاب وقد يكون قول عمر بن الخطاب فيهم من قبيل أنهم لا يتصفون بتمام شرط صفة أهل الكتاب. لذلك لا يعتد بالرواية وأجريت قضية نصارى تغلب على أساس الجزية على نحو ما ذكر عوانة بن الحكم وأبو مخفف وتوسط بينهم وبين عمر بن الخطاب بعض بني تغلب الذين أسلموا وكان أكثر الوسطاء اهتماماً بالقضية وحرصاً على حلها، النعمان بن زرعة [4] وقيل زرعة بن النعمان وهو من بني

(١) عبد الرزاق الصنعاني: المصنف، ج ٦، كتاب أهل الكتاب.

(٢) الشافعي: كتاب الأم، ج ٤، ص ١٩٤.

(٣) أنظر تفسير أبي جعفر الطبري والقرطبي لسورة المائدة؛ الشافعي: الأم، ج ٤، ص ١٠٥؛ وابن تيمية: الفتاوى، المجلد الرابع، ص ٦١٩.

(٤) النعمان بن زرعة بن هرمي بن السفاح من بني عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٠٦).

وكان كما قيل يكره بني بكر بن وائل ووقف على رأس تغلب واياد والنمر ضدهم في معركة ذي قار. (ابن حبيب: المجر، ص ٣٦٠ ــ ٣٦١)؛ المسعودي: المروج، ج ١، ص ٢٠٩؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، المجلد الثاني، ص ٢٦٠ ــ ٢٦٥.

ولا مانع أن تكون حياة النعمان استمرت إلى زمن عمر بن الخطاب لما قيل أن وقعة ذي قار كانت لتمام أربعين سنة من مولد رسول الله وقد يكون ابنه الذي باشر المفاوضة مع عمر.

تغلب، وتذكر الروايات [1] أنه كان يستصرخ عمر بن الخطاب ويقول: أنشدك الله في بني تغلب. ولعل التأكيد على وصف نصارى تغلب بأنهم أهل شوكة ونكاية والاشفاق من انحيازهم إلى البيزنطيين من اسباب محاولات الوسطاء لضمان تسوية المشكلة، وقد يكون حرص النعمان أو ابنه على حل القضية قائمًا على جمع شمل تغلب والمحافظة على مركزها أزاء القبائل الأخرى.

لعب العامل القبلي وعامل الجوار مع بيزنطة دوراً في حل المشكلة وظهر أثرهما في ربط ما فرض عليهم أداؤه من مال بالصدقة التي يدفعها المسلمون واستيفائه منهم مضاعفاً، ولما أمر عثمان بن عفان أن لا يقبل من بني تغلب في الجزية إلا الذهب والفضة فجاءه الثبت أن عمر أخذ منهم ضعف الصدقة فرجع عن ذلك [2].

وتناول بعض الفقهاء اتفاق عمر بن الخطاب مع بني تغلب فذكر الشافعي أن عمر صالح بني تغلب على أن ضعّف عليهم الصدقة ولا يؤخذ ذلك منهم على الصدقة وإنما يأخذه منهم على الجزية وأن نحي عنهم اسمها [3].

وذكر أبو عبيدالقاسم بن سلام أن عمر استجاز ذلك لما رأى نفار بني تغلب وأنفهم من الجزية فلم يأمن شقاقهم واللحاق بالروم وعلم أنه لا ضرر على المسلمين من إسقاط الاسم مع استبقاء ما يجب عليهم من الجزية فكان سدداً وكانت فعلته من محاسنه التي لا تحصى [4].

---

(1) أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال، ص ٧٢٣؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٥٠ ــ ٢٥١.

(2) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٥٢.

(3) الشافعي: كتاب الأم، ج ٤، ص ١٩٤ ــ ١٩٥.

(4) أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال، ص ٧٢٢ ــ ٧٢٣.

اما ابن قدامة فقال أن العلة في قبول ذلك من بني تغلب أنهم كانوا ذوي قوة وشوكة لحقوا بالروم وخيف منهم الضرر إن لم يصالحوا فقبل ذلك منهم ولم يخالف عمر أحد من الصحابة فصار إجماعاً (١) .

وروى عن عمر أنه قال: هؤلاء حمقى رضوا بالمعنى وأبو الاسم (٢) ، كما ورد لفظ «جزية» بحق بني تغلب في قول جرير للأخطل التغلبي:

لولا الجزا قسم السواد وتغلب في المسلمين فكنتم أنفالا

وفي قوله:

ويسعى التغلبي إذا اجتبينا بجزيته وينتظر الهلاك

وإضافة إلى مضاعفة الصدقة على بني تغلب، اشترط عمر عليهم أن لا ينصروا أولادهم (٣) . وقيل أن أول من اشترط على بني تغلب أن لا ينصروا أولادهم هو الرسول عليه السلام فذكر أبو داود في سنته (٤) برواية زياد بن حدير عن علي أنه قال: لئن بقيت لنصارى بني تغلب لأقتلن المقاتلة ولأسبين الذرية فاني كتبت الكتاب بينهم وبين النبي على أن لا ينصروا أولادهم ولكن أبا داود يقول أن هذا الحديث منكر وأن أحمد بن حنبل كان ينكره إنكاراً شديداً، وأما ما رواه ابن سعد في طبقاته (٥) عن وفد تغلب إلى الرسول فهو إن صح فإنما يصح على جماعة من تغلب كانت في أطراف الجزيرة العربية ولا

(١) ابن قدامة: المغني والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٥٩٤، ص ٥٩٢.
(٢) أبو تمام: نقائض جرير والأخطل، ص ١٩٥.
(٣) يحيى بن آدم: الخراج، ص ٦٦ ــ ٧٠؛ الشافعي: كتاب الأم، ج ٤، ص ١٩٤؛ ابن قتيبة: المعارف، ص ٢٤٩؛ أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٥.
(٤) أبو داود: سنن أبي داود كتاب الخراج والفيء والامارة، ص ١٤٨ ــ ١٤٩.
(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣١٦.

يصدق على بني تغلب الذين كانوا في الجزيرة الفراتية التي لم تكن دخلت بعد في سلطان المسلمين في حياة الرسول. لذلك فإن الأرجح أن الشرط وقع بين عمر بن الخطاب وبين نصارى تغلب بعد فتح الجزيرة الفراتية وان نصارى تغلب صاروا بذلك ذمة مثلما صار غيرهم من تنوخ وعباد الحيرة (١) . وأخذ الاسلام يفشو بينهم، فلما فرض عمر بن الخطاب العطاء للمسلمين، أعطى أهل هجر والعباد على اثنتين مما يشير إلى دخول ناس منهم في الاسلام (٢) وقيل أنه لما كانت خلافة علي بن أبي طالب جاء وفد من بني تغلب إليه فصالحوه على أن يقرهم على دينهم ولا يضعوا أبناءهم في النصرانية، ويبدو أن ذلك كان تجديداً للعهد الذي كان بينهم وبين المسلمين في عهد عمر، ثم بلغه أنهم تركوا ذلك فتهددهم أن ظهر عليهم بالقتل والسبي، فلما سار علي لمحاربة معاوية في صفين مر ببلاد تغلب فاستقبله منهم مسلمة كثيرة فسر بما رأى منهم وثناه عن رأيه (٣) . وكان منهم من هاجر من قبل إلى سعد بن أبي وقاص وهو في المدائن ثم خطوا معه بعد الكوفة ونزلوا في بعض أسباعها (٤) .

بلغت حركة فتح العراق والشام مداها وتم بذلك استجلاء موقف نصارى العرب منها في هذين البلدين قدر المستطاع، وتسوية العلاقة بينهم وبين المسلمين ويبقى استكمالاً للبحث، الوقوف على دور من بقي على نصرانيته منهم في حركة الفتح الاسلامي في المرحلة التالية.

تدل الشواهد التاريخية والفقهية على أن المسلمين كانوا يستعينون بهم في حركة الفتح الاسلامي.

---

(١) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٥.

(٢) النويري: نهاية الارب، ج ١٩، ص ٣٣٥.

(٣) نصر بن مزاحم المنقري: وقعة صفين، ج ٣، ص ١٤٦.

(٤) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٠، ٤٨، ٥٤، ٧٨.

فورد أن فتية كانوا نصارى من التمر وتغلب حاربوا إلى جانب المسلمين ضد الفرس وأن أبا زبيد الطائي كان نصرانياً وحارب مع المسلمين ضد الفرس ونهض بنو تغلب من كان منهم مسلمًا وغير مسلم مع الوليد بن عقبة ضد البيزنطيين (١) . ومما يدل على وجود ذمة وأهل عهد إلى جانب المسلمين ما كتب به عمر بن الخطاب إلى أحد قادة المسلمين في ميدان الأهواز وقد بلغه عنه أنه نزل بالجيش جبلاً يشق على من رامه فكتب عمر إليه أن يسهل ولا يشق على مسلم ولا معاهد (٢) .

وقال الأخطل التغلبي يفاخر جريراً بقومه:

وقد ننزل الثغر المخوف ويتقي   بنا البأس واليوم الأغر المحجل

أما في ميدان الفقه فقد ناقش الفقهاء موضوع الاستعانة بغير السلمين، فذكر الشافعي (٤) أن الرسول عليه السلام غزا بيهود بني قينقاع وأورد السيباني (٥) حديثاً عن الرسول قال عليه السلام: «إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لأخلاق لهم في الآخرة». وفي حديث عن الزهري عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «أن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» (٦) .

أما ما ورد عن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده أنه سمع عمر يقول: «لولا أني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول أن الله تبارك وتعالى

---

(١) و (٢) أبو جعفر الطبري: تاريه الرسل والملوك، ج ٤، ص٤٨، ص٥٤، ٧٨.
(٣) أبو تمام: نقائض جرير والأخطل، ص٦٣.
(٤) الشافعي: كتاب الأم، ج ٤، ص ٩٠، ١٧٧.
(٥) الشيباني: السير الكبير، ج ٤، باب الاستعانة بأهل الشرك.
(٦) ابن حزم: المحلى، المجلد الثامن، ج ١١، ص١١٣.

سيمنع الدين بنصارى من ربيعة على شاطىء الفرات ما تركت عربياً إلا قتلته أو يسلم» [١] . فإن القاسم بن سلام يورده في مجال الحديث عن قضية بني تغلب مما يوحي بأن المراد من نصارى ربيعة الذين على شاطىء الفرات، نصارى تغلب وسند الحديث يشير إلى أموية رواته وقد كان نصارى تغلب من حلفاء بني أمية وأنصار خلافتهم فقد يكون الحديث جاء لتبرير ما يبديه بنو أمية من خو مودة لبني تغلب وأيا كان فإن الحديث يشير إلى الدور الذي كان يلعبه نصارى تغلب في نصرة بني أمية، واستعانت الأمويين بهم.

وذكر ابن حزم أن عامر الشعبي سئل عن المسلمين يغزون بأهل الكتاب فأجاب الشعبي: «أدركت الأئمة الفقيه منهم وغير الفقيه يغزون بأهل الذمة» [٢] . وكان مسلمًا بن ربيعة يستعين بهم [٣] . وكانت مغازي سلمان نحو أذربيجان وأرمينية [٤] ولكن الفقهاء اشترطوا في قضية اشتراك أهل الذمة في القتال ألا يكون تحت راية الاسلام وأن يكون جانبهم مأموناً من دلائل الهزيمة والتخذيل للمسلمين [٥] .

أما بخصوص المال الذي كان يعطي لهم نظير الاستعانة بهم في الجهاد فقد اختلف فيه، فقيل يرضح لهم فيعطي الواحد منهم قدراً معيناً من المال أجرة مسماة له [٦] وهذا رأي أبي حنيفة ومالك والشافعي [٧] . وقيل يسهم له

---

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال، ص ٧٢٢.

(٢) ابن حزم: المحلى، المجلد الرابع، ج ٧، ص ٣٣٤؛ والشعبي ولد في أول أيام علي وأدرك من بعده من الصحابة.

(٣) المصدر نفسه، المجلد الأول، ج ١، ص ٣٤٦.

(٤) أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٤٦.

(٥) أنظر الشافعي: كتاب الأم، ج ٤، ص ٨٩، ٩٠، ١٧٧؛ الشيباني: السير الكبير، ج ٤، باب الاستعانة بأهل الذمة؛ ابن حزم: المحلى المجلد الرابع والثامن في مواضيع متفرقة.

(٦) أنظر: الشافعي: كتاب الأم، ج ٤، ص ٨٩؛ الشيباني: السير الكبير، ج ٣، ص ٩٠٤.

(٧) أنظر: ابن حزم: المحلى، المجلد الرابع، ج ٧، ص ٣٤٦.

كالسهم وبهذا قال الأوزاعي والثوري والزهري وهو مذهب أهل الثغور وأهل العلم بالصوائف والبعوث [1] ولا ريب أن هذه البحوث الفقهية تشير إلى واقع تاريخي يظهر فيه دور أهل الذمة ومساهمتهم في حركة الفتح الاسلامي.

* * *

نعود بعد هذا إلى القول بأن النصرانية انتشرت بين العرب بدرجة متفاوتة بينهم في داخل الجزيرة العربية وبينهم في أطرافها وبينهم في خارجها في العراق والشام في أحوال سياسة واقتصادية متباينة ولكنها لم تتغلغل فيهم على مستوى الجماعة الممثلة آنذاك بالقبيلة بل ظلت ذات طابع فردي ولم يتجاوز تأثيرها دائرة الفرد إلى دائرة الجماعة، سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً، وظلت مصالح القبيلة الحكم في شؤون الجماعة العربية وعندما ظهر الاسلام في الحياة العربية وقف العرب في شبه الجزيرة العربية منه موقفاً لا يبدو للنصرانية فيه دور فاعل، وكان موقف من كان فيهم على النصرانية مندمجاً مع موقف قبيلته وعندما أقبل العرب فرادى وجماعات يدخلون في الاسلام دخل معهم من كان منهم نصرانياً باستثناء القليل من نصارى نجران في اليمن وبعض حالات فردية في أطراف شبه الجزيرة، وصالحوا المسلمين واعتقدوا منهم الذمة لهم.

أما الحال في العراق والشام فيبدو سير أحداث الفتح الاسلامي في هذين البلدين لا يؤيد تعليل وقوف نصارى العرب إلى جانب الروم تعليلاً دينياً وأنه كان مدفوعاً بعاطفة دينية واعتبار الحرب حرباً دينية كما لا يؤيد اعتبار حركة الفتح مشروعاً مشتركاً اجتمع فيه توثب العرب واجتماع كلمتهم، وإنما ظهرت بعض المواقف، التي كان لها طابع جماعي، بين العرب في الشام والعراق، في معارك مؤتة واليرموك وفحل وقنسرين وعين النمر وتكريت وغيرها، وكان

---

(١) أنظر: ابن قدامة: المغنى والشرح الكبير، ج ١٠، ص ٤٥٧.

موقف الجماعة وموقف الفرد في الجماعة في هذه المعارك واحداً، بدأت معادية ومتعارضة مع حركة الفتح الاسلامي ثم صارت متماشية ومندمجة معها.

ويبدو أنها كانت تدور أول الأمر حول المصالح الفردية التي كانت تظهر في مصالح القبيلة المتمثلة بسيادة القبيلة واستقلالها والانتقام لها من المعتدين واختيار أفضل الحلفاء من أجل ضمان استمرار وجودها، وقد كان في تقدير العرب أن الفرس والبيزنطيين متفوقون على المسلمين ومن ثم كان السير في ركاب المسلمين يشكل تهديداً لمصالح العرب الذين كانوا يعيشون في كنف البيزنطيين والفرس فضلاً عن وجود روح قبلية معادية وخاصة بين عرب العراق، مما جعل مهمة إثبات التفوق على الفرس والبيزنطيين ملقاة على عاتق المسلمين وحدهم بما عندهم من قدرات مادية وفكرية، ولما نجح المسلمون فعلاً في تجاوز هذا التحدي عسكرياً وفكرياً وصار الموقف يتبدل تدريجياً لصالحهم، أخذ العرب يتحولون مع تحول الموقف إلى جانب المسلمين، ومرة أخرى نجد اندماج موقف نصارى العرب مع موقف قبائلهم ولا يستثنى من ذلك موقف نصارى تغلب الذين سويت قضيتهم تحت سقف قبلي مع اعتبار الشرع والالتزام بأحكامه.

مصادر البحث ومراجعه

أولاً ـ المصادر والمراجع العربية المطبوعة:

(١) ابن آدم، يحيى بن آدم القرشي (ت ٢٠٣ هـ): كتاب الخراج. المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٧ هـ، تحقيق أحمد محمد شاكر.

(٢) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ): الكامل في التاريخ. مراجعة نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٣) ابن الأثير، عز الدين بن الأثير الجزري (٥٥٥ ـ ٦٣٠ هـ): اللباب في تهذيب الأنساب. دار صادر، بيروت.

(٤) ابن الطلاع، أبو عبدالله محمد بن فرج المالكي (ت ٤٩٧ هـ): أقضية رسول الله. تحقيق د. محمد ضياء الأعظمي، دار الكتاب المصري، القاهرة ١٩٧٨، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(٥) ابن العبري، غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري (ت ٦٨٥ هـ): تاريخ مختصر الدول. المطبعة الكاثوليكية، بيروت ـ لبنان، ١٩٥٨ م.

(٦) ابن بطريق، البطريرك افتيشيوس المكنى سعيد بن بطريق (ت ٣٢٨ هـ): كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق. مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٩، بيروت، ويليه تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي.

(٧) ابن تيميه، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ): الفتاوي الكبرى. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

(٨) ابن حبيب، أبو جعفر بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥ هـ): المحبر. رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين العسكري تصحيح ايلزه ليختن شتيتر، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت.

(٩) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي(٣٨٤ ـ ٤٥٦ هـ): جمهرة أنساب العرب. تحقيق عبدالسلام محمد هارون، طبعة ثالثة، دار المعارف بمصر، ١٣٩١ هـ ـ ١٩٨١ م.

(١٠) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ): المحلى. المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت.

(١١) ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت ٣٦٧ هـ): كتاب صورة الأرض. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

(١٢) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ): تاريخ ابن خلدون. طبع ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م.

(١٣) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (٢٢٣ ـ ٣٢١ هـ): الاشتقاق. تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، الناشر مؤسسة الخانجي، مصر ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٥٨ م.
(١٤) ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر بن رسته، كان حياً (٢٩٠ هـ): المجلد السابع من الاعلاق النفسية. طبع مدينة ليدن بمطبعة بريل ١٨٩١ م.
(١٥) ابن رسول، السلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول، طرفة الأصحاب في تمييز الأنساب. مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٤٩ م، تحقيق (K.W. Zettersteen).
(١٦) ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ): كتاب الأموال. تحقيق محمد خليل هراس، نشر مكتبة الكليات الأزهرية.
(١٧) ابن سيد الناس، فتح الدين محمد بن أبي بكر محمد اليعمري الأندلسي (٦٧١ ـ ٧٣٤ هـ): عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير. ومعه اقتباس الاقتباس لحل مشكل سيرة ابن سيد الناس لابن عبدالهادي، دار الجبل، بيروت، طبعة ثانية ١٩٧٤.
(١٨) ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ): العقد الفريد. القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، تحقيق أحمد أمين وأحمد آلذين والأبياري.
(١٩) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ): تهذيب تاريخ دمشق. تهذيب عبدالقادر بن أحمد بدران، دار السيرة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.
(٢٠) ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ): الشعر والشعراء. تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر ١٩٦٦.
(٢١) ابن قدامة، موفق الدين بن قدامة (ت ٦٣٠ هـ): المغنى. دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان ١٩٧٢ م ومعه الشرح الكبير، شمس الدين ابن أبي عمر بن قدامة المقدسي (ت ٦٨٢ هـ).
(٢٢) ابن هشام، عبدالملك بن هشام الحميري (ت ٢١٨ هـ): السيرة النبوية. دار احياء التراث العربي، بيروت، طبعة ثالثة ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م، تحقيق السقا، الأبياري، شلبي.
(٢٣) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١ هـ): نقائض جرير والأخطل، دار الكتب العلمية، بيروت المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ١٩٢٢ م، عن نسخة الأستانة الوحيدة وعلق حواشيها الأب انطوان صالحاني اليسوعي.
(٢٤) أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن اسحاق الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥ هـ): سنن أبي داود. الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م، مطبعة الحلبي.
(٢٥) الأزدي، محمد بن عبدالله الأزدي نبغ في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ومات سنة ٢٣١ هـ، ببغداد: تاريخ فتوح الشام. تحقيق عبدالمنعم عبدالله عامر الناشر، مؤسسة سجل العرب ١٩٧٠ م.

(٢٦) الأصفهاني، حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت حوالي ٣٥١ هـ): تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء.
(٢٧) البكري، الوزير الفقيه أبي عبيدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي، (ت ٤٨٧ هـ): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع. تحقيق مصطفى السقا، طبعة أولى، ١٣٦٤ هـ ـ ١٩٤٥ م.
(٢٨) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩ هـ): أنساب الأشراف. مكتبة المثنى ببغداد.
(٢٩) البلاذري. أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩ هـ): فتوح البلدان. تحقيق عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين ١٩٥٧ م ـ ١٣٧٧ هـ.
(٣٠) البلاذري (ت ٢٧٩ هـ): فتوح البلدان. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، مراجعة رضوان محمد رضوان.
(٣١) جاد المولى، محمد أحمد جاد المولى والبجاوي وأبو الفضل ابراهيم: أيام العرب في الجاهلية، مطبعة عيسى الحلبي ـ القاهرة.
(٣٢) جب، هامتلون جب، دراسات في حضارة الاسلام. ترجمة د. إحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٤ م.
(٣٣) جرجس، جرجس بن العميد أبو العامر بن أبي المكارم، تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الاسلام محمد إلى الدولة الأتابكية، نسخة مطبوعة وموجودة في مكتبة السليمانية، استانبول برقم ٢١٧٣.
(٣٤) الجهشياري، أبو عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري (ت ٣٣١ هـ): كتاب الوزراء والكتاب. تحقيق مصطفى السقا، الأبياري، شلبي، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى الحلبي.
(٣٥) د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام. دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد ١٩٧٦ م.
(٣٦) الجوزي، الحافظ أبو الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، تاريخ عمر بن الخطاب. تقديم وتعليق أسامة عبدالكريم الرفاعي.
(٣٧) الجوزي، بندلي صليبا الجوزي، دراسات في اللغة والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي عند العرب. جمع وتقديم جلال السيد، ناجي علوش، الطبعة الأولى.
(٣٨) حتي، فيليب حتى، تاريخ العرب مطول. ادوارد جرجي، جبرائيل جبور، الطبعة الرابعة، ١٩٦٥، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع.
(٣٩) خليفة، خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ): تاريخ خليفة بن خياط. تحقيق د. أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة بيروت، دار القلم، دمشق وبيروت.

(٤٠) الدوري، عبدالعزيز الدوري، الجذور التاريخية للقومية العربية. دار العلم للملايين، بيروت، طبعة أولى ١٩٦٠ م، تموز.
(٤١) الدوري، عبدالعزيز الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب. المطبعة الكاثوليكية ـــ بيروت.
(٤٢) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ): الأخبار الطوال. القاهرة، مطبعة البابي الحلبي.
(٤٣) الدينوري، أبو عبدالله محمد بن مسلم بن قتيبة الكاتب الدينوري (ت ٢٧٦ هـ): المعارف. تحقيق محمد اسماعيل عبدالله العبادي، طبعة ثانية ١٣٩٠ هـ، ١٩٧٠ م، دار أحياء التراث العربي، بيروت.
(٤٤) رستم، أسد رستم: الروم وصلاتهم بالعرب. ج ١، الطبعة الأولى لبنان ـــ بيروت ١٩٥٥، دار المكشوف.
(٤٥) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧ ـــ ٥٣٨ هـ): تفسير «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل». انتشارات آفتاب، طهران.
(٤٦) سالم، عبدالعزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب. الجزء الأول عصر ما قبل الاسلام، دار المعارف ١٩٦٧ م.
(٤٧) السرخسي، شمس الدين محمد بن أبي سهل (ت ٤٩٠ هـ): المبسوط. دار المعرفة ـــ بيروت.
(٤٨) الشافعي، أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ): كتاب الأم. مطبوعات دار الشعب، القاهرة ١٣٨٨ هـ ـــ ١٩٦٨ م.
(٤٩) الشيباني، محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩ هـ): شرح السير الكبير. مطبعة شركة الاعلانات الشرقية ١٩٧١ م، تحقيق صلاح الدين المنجد.
(٥٠) شيخو، لويس شيخو، شعراء النصرانية. ثلاثة أجزاء المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين (ت ١٩٢٤ م).
(٥١) شيخو، لويس شيخو، النصرانية وآدابها. بيروت، المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٣.
(٥٢) الصنعاني، الحافظ الكبير عبدالرزاق بن همام الصنعاني (١٩٦ هـ ـــ ٢١١ هـ): المصنف. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي منشورات المجلس العربي.
(٥٣) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ ـــ ٣١٠ هـ): تاريخ الرسل والملوك. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر.
(٥٤) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ ـــ ٣١٠ هـ): جامع البيان في تفسير القرآن. ط ١، المطبعة الأميرية، بولاق ١٣٢٧ هـ.

(٥٥) عاقل، نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم وعصر الرسول. دار الفكر، طبعة ثالثة ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٥ م.

(٥٦) القزويني، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (٢٧ ـ ٢٧٥ هـ): سنن ابن ماجه. تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار أحياء التراث العربي، بيروت.

(٥٧) القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦ هـ): تاريخ الحكماء. وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب (أخبار العلماء بأخبار الحكماء)، مكتبة المثنى، بغداد، مكتبة الخانجي، مصر).

(٥٨) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١ هـ): صبح الأعشى في صناعة الانشاء. نسخة مصوره عن الطبعة الاميرية وزارة الثقافة والارشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.

(٥٩) الكرخي: ابن اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي، توفي النصف الأول من القرن الرابع الهجري. المسالك والممالك. تحقيق د. محمد جابر عبدالعال الحسين، مراجعة محمد شفيق غربال (١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م)، دار العلم.

(٦٠) الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي (ت ٢٠٤ هـ): كتاب الأصنام. تحقيق أحمد زكي باشا، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب المصريه بالقاهرة (١٩٢٤ م ـ ١٣٤٣ هـ).

(٦١) ماري بن سليمان، أخبار بطارقة كرى المشرق. طبع في روميه الكبرى ١٨٩٩، يطلب من مكتبة المثنى، بغداد.

(٦٢) المسعودي، أبو الحسن بن علي (ت ٣٤٥ هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٦٦ م.

(٦٣) الامام مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١ هـ): الجامع الصحيح. مؤسسة الطباعة لدار التحرير للطبع والنشر، مصوره عن مطبعة استانبول المحققه المطبوعه سنة ١٣٢٩ هـ، القاهرة سنة ١٣٨٤ هـ.

(٦٤) المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر الشامي المقدسي المعروف بالبشاري (ت ٣٨٧ هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. طبعة ثانية ١٩٦٧ ليدن.

(٦٥) المقدسي، مطهر بن طاهر المقدسي (ت ٣٥٥ هـ): البدء والتاريخ.

(٦٦) المنقري، نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢ هـ): وقعة صفين. مطبعة المدني، الطبعة الثانية ١٣٦٥ هـ.

(٦٧) النجم، عبدالرحمن عبدالكريم النجم: البحرين في صدر الاسلام دائرها في حركة الخوارج. دار الحرية للطباعة، مطبعة الجمهورية، بغداد ١٩٧٣ م.

(٦٨) النص، الدكتور احسان النص: العصبيه القبليه وأثرها في الشعر الأموي. دار الفكر، طبعة ثانية ١٩٧٣ م.

(٦٩) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري (ت ٧٣٣ هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب. نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة.
(٧٠) الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمداني (ت ٣٣٤ هـ): صفة جزيرة العرب. نشر محمد بن عبدالله بن بليهد النجدي، مطبعة السعادة بمصر.
(٧١) الواقدي، أبو عبدالله محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧ هـ): فتوح الشام. دار الجيل ــ بيروت.
(٧٢) الواقدي، أبو عبدالله محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧ هـ): كتاب المغازي. طبعة ذي الحجة ١٢٧١ هـ، أوغست ١٨٥٥ م.
(٧٣) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤ هـ): تاريخ اليعقوبي. ١٣٧٩، ١٩٦٠، دار صادر، دار بيروت.
(٧٤) اليوسف، د. عبدالقادر أحمد اليوسف: الامبراطورية البيزنطية. المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا ــ بيروت.
(٧٥) ياقوت، شهاب الدين ياقوت الحموي الرومي (ت ٦٢٦ هـ): معجم البلدان. دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ١٣٧٤ هـ ــ ١٩٥٥ م.

ثانياً ــ المراجع الأجنبية المعربة:

(٧٦) سيرتوماس ارنولد، الدعوة إلى الإسلام. ترجمة حسن ابراهيم، د. عبدالمجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠ م.
(٧٧) بروكلمان، كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي. ج ١، نقل د. عبدالحليم النجار، طبعة ثالثة، دار المعارف بمصر.
(٧٨) أومان، الامبراطورية البيزنطية. تعريب د. مصطفى بدر، دار الفكر العربي ١٩٥٣ م.
(٧٩) بلياييف، ي. أ. بلياييف، العرب والاسلام والخلافة العربية. نقحه د. أنيس فريحه راجعه وقدم له د. محمود زايد الدار المتحدة للنشر، بيروت.
(٨٠) بينز، نورمان بينز: الامبراطورية البيزنطية. تعريب د. حسين مؤنس، د. محمود يوسف زايد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، طبعة ثانية ١٩٥٧، القاهرة.
(٨١) ترتون، أ.س. ترتون: كتاب أهل الذمة في الاسلام. ترجمة حسن حبشي ١٩٦٧، دار المعارف، طبعة ثانية.
(٨٢) حتي، فيليب حتي: الاسلام منهج حياة. نقله عن الانجليزية عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة أولى ١٩٧٢.
(٨٣) نولدكه، ثيودور نولدكه: أمراء غسان. المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٣٣، ترجمة بندلي جوزي قسطنطين زريق.

ثالثاً ـ المصادر والمراجع المخطوطة:

(٨٤) ابن نباته، شمس الدين محمد بن محمد بن الحسن بن نباته: الاكتفاء بتاريخ الخلفا. مخطوط أبا صوفيه ٢٩٧٣، السليمانية، استانبول.

(٨٥) الازدي، محمد بن عبدالله الازدي (ت ٢٣١ هـ): فتوح الشام. مخطوط أيا صوفية ٣٣٢٦ السليمانية، استانبول.

(٨٦) البقاعي، برهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥ هـ): أخبار الجلاد في فتح البلاد. مخطوط لا له لي ١٩٩٤ السليمانية، استانبول.

(٨٧) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩ هـ): أنساب الأشراف. مخطوط عاشر أفندي ٥٩٧ ـ السليمانية، استانبول.

(٨٨) الديار بكرى، حسين بن محمد الديار بكري، سير تاريخ الخميس في أحوال النفس النفيس. مخطوط ايا صوفية ٣٠٤٠، السليمانية، استانبول.

(٨٩) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ): تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام. مخطوط أيا صوفية ٣٠٠٥، ٣٠٠٧، السليمانية، استانبول.

(٩٠) الكلاعي، الناقد أبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي: الاكتفاء في السير ومغازي الخلفا الثلاثه. مخطوط أيا صوفيه ٢٩٧٢، السيمانية ـ استانبول.

(٩١) الواقدي، محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧ هـ): كتاب فتوح السبع حصون وفتوح العراق. مخطوط، أيا صوفيا ٣٣٣٤ السليمانية ـ استانبول.

فتوح الشام: مخطوط أيا صوفية ٣٣٢٩، السليمانية ـ استانبول.

رابعاً ـ المراجع الأجنبية:

(92) Arnold; Thomas Arnold: *Thepreaching of Islam*. Ahistory of the Prppagation of the Muslim Faith. SH. Muhammad Ashraf Kashmiri Bazar-Lahore Pakistan.

(93) Bell, Richard Bell: *The Origin of Islam in its Chridtian Environment*. The Guning Lectures Edinburgh University 1928 Frant Cass and Co. Ltd 1968.

(94) Butler, Alfered J. Butler: *The Arab Conquest of Egypt*. The Last Thirty Years of the Roman Dominion, Second Edition Printed in Great Britain at the University Press, Oxford.

(95) Frye, R.N. Frye, Professor of Iranion, Harvard University: *The Cambridge History of Iran*. Volume 4 -The Period from the Arab Invasion to the Saljugs, Cambridge University Press.

(96) Muir, S.R William Muir: *The Caliphate*. Its Rise, Dedine and Fay With Anew Introduction by: Zeine N. Zeine Beirut, Khayats 1963.

(97) Triton, A.S. Triton: *The Caliphs and Thei Non-Muslim Subjects*. Frank Cass and GO Ltd 1970.

(98) Trimingham, J. Spencer Trimingham, *Christianity Among The Arabs in Pre-Islamie Times*. Lonhman. London and New York.

خامساً ـ المقالات العربية والأجنبية:

(٩٩) الشريف، د. أحمد الشريف، مقالة: قريش قبيلة، العرب قبل الاسلام. مجلة كلية الآداب والتربيه ـ الكويت، العدد الأول ١٩٧٢ م حزيران ـ ١٣٩٢ هـ، جمادي الآخر.

(١٠٠) الهاشمي، طه الهاشمي، مقالة: خالد بن الوليد في العراق: مجلة: المجمع العلمي العراقي، المجلد الثالث، الجزء الأول عام ١٩٥٤ م، المجلد الرابع، الجزء الأول ١٩٥٦ م.

(101) Irfan, Kawar Irfan, Article: *The Arab Kingdom of Ghassan.* Its Origins, Rise and Fall. Muslim Workd 1956 Volume 46 Page 194-206.

(102) Mayerson, Philip Mayerson-New York University, Article: *The First Muslim Attackson South Palestione.* A.D 633-634; Vol. 95, 1964, p. 155-199.

(103) Tibawi, A. L. Tibawi, Article: *Christains Under Mohammad and his First Two Caliphs.* Islamic Quarterly. Vol. 6, p. 30-46.